هذا هو مؤسس المملكة

***

بقلم

د. محمد بن رزق بن طرهوني

١٤١٩هـ

مختصر من كتاب عبق الخلفاء الراشدين في سيرة الملك عبد العزيز وقد كتبت عليه استدراكا في عام ١٤٣٩ هـ لا أحل نشر هذا المختصر بدونه
هذا رابطه
https://drive.google.com/open?id=1BWgeeVxFFzKCcBosc0crzpjf-Wt8Obas

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فإن سيرة الملك عبد العزيز رحمه الله بحر لا ساحل له ، ولذا فمهما حاول الإنسان الإحاطة بجانب من جوانبها إذا به يفجأه خضم المعلومات وعظمة المواقف وكثرتها ، ولذا فإنني ارتأيت في هذه العجالة تسليط الأضواء على مؤسس المملكة العربية السعودية من خلال مواقف حية وكلمات نيرة وشهادات صادقة نتعرف خلالها على تلك الشخصية الفريدة ، ولندع الكلمات تعرب عن حقيقتها .

يقول الملك عبد العزيز :

وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأعمال الخلفاء الراشدين وما اتفق عليه الصحابة الكرام ، وما جاء به فيما بعد الأئمة الأربعة فهي حق لا نحيد عنه قط .

ويقول :

أما قدوتنا- إن شاء الله- فهو عمر بن الخطاب في الخلفاء الراشدين، ذلك الإمام الذي حمل الدقيق على ظهره لإحدى أرامل المسلمين، وفي الأمويين عمر بن عبد العزيز الذي ضرب بعدله وزهده المثل، وإنني أود أن نفنى- أنا وأولادي - في سبيل الله .

وقد شهد له أهل العلم بأنه وفى بما قال :

ومنهم محمد رشيد رضا حيث قال :

وكذلك قوله إنه مسلم سلفي يدعو إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون ، والأئمة المجتهدون، فهو حق تشهد له خطبه وسيرته في أحكامه بقدر استعداده واستعداد علماء بلاده .

وقال الشيخ محمد حامد الفقي :

وبهذه السجايا العظيمة ، والخلال الكريمة بسط الله لعبد العزيز هذا الملك ، ووطأ له أكتاف هذه الدولة ، وكذلك بهذه الروح المؤمنة الصادقة أتاح الله للجزيرة عهدا سعيدا عامر بالأمن ، والرخاء ورغد العيش ، وهو يذكرنا بعبق ذلك العهد الرشيد المثالي عهد عمر بن الخطاب ، وإخوانه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

أقول : والخلافة الراشدة قوامها :
الشرعية : والملك عبد العزيز ملك البلاد ببيعة شرعية والحمد لله .
صلاح الراعي : والملك عبد العزيز أطبق كل من تكلم عنه على نقاء عقيدته وسلامة دينه وخوفه من ربه وتفانيه في إرضائه وخوفه من سخطه ودعوته لهذا الدين بكل ما يملك والكلام جله في بيان ذلك .
إقامة الشريعة : فلم يكن على وجه الأرض من يقيم شريعة الله ويعلي كلمته من حكام المسلمين غيره رحمه الله .
العدل : فعدله رحمه الله من أرقى صور العدل التي لم تعرف إلا في العهود الراشدة وقد ذكرت من ذلك الكثير .
الأمن : وقد توفر في عهده بشهادة القاصي والداني بدرجة لم تصل إليها بعض العهود الراشدة كما هو معلوم .
والخلفاء الراشدون أقاموا شريعة الله في أمة كانت وليدة النبوة وتزخر بالصحابة الكرام حتى عمر بن عبد العزيز أدرك عصر الصحابة ، والناس حديثو عهد بالعقيدة الصافية والأخلاق النبوية الراقية ، مع الشيم النبيلة والصفات الحميدة في العموم فهم خير القرون بنص الحديث.
أما الملك عبد العزيز فأحيا الله به موات الأمة ودارس الشريعة ، ونفى به الشرك ورفع به راية التوحيد ، ووحد به أمة متفرقة وقبائل متناحرة، لا تعرف من الإسلام إلا اسمه ومن الدين إلا رسمه ، وأقام حد الله في أرضه بعد أن طال على اندراسه الزمن ، وحول شعبا كان يرزح أكثره في جاهلية جهلاء إلى نور العلم والمعرفة ، ونقل أمته من الخوف والهلع والسلب والنهب إلى الأمن والأمان والاستقرار ، وباختصار شديد لقد تسلم أمة تائهة دينا ودنيا فتبدلت بفضل الله ثم بفضله إلى أرقى وأنقى أمة دينا ومن أفضل وأعظم الأمم دنيا .
ثم قد يقول قائل : إن هناك تساؤلين حول كلامك :
الأول : أنك لم تعاصر الملك عبد العزيز وإنما جمعت كلامك عن أناس الله أعلم بهم ، ولعلهم بالغوا أو خالفوا الحقائق لغرض مادي ونحوه ، كعادة من يكتب عن الملوك .
الثاني : أنك استفدت معلوماتك من كتب مادحة ولعلك لم تطلع على كتب أخرى ربما ذكرت عكس ذلك ، والبعض قد يسكت عن أمور خوفا من سطوة الدولة .
فأقول ردا على هاتين الشبهتين :
أما الأولى فالرد عليها من عدة جوانب :

١- إن آثار الرجل أعظم دليل على صحة النقول التي نقلت عنه فقد ترك دولة هي الوحيدة في العالم قوامها شريعة الله وإقامة حدوده، وهي الوحيدة الخالية من الشركيات والبدع ، وهي الوحيدة التي لا يوجد بها من الملاهي كما في غيرها من سينما ومسارح وملاهي ليلية ونحوها ، وهي الوحيدة التي بقيت فيها المرأة بحجابها .... الخ.
كما أنه ترك الدولة في أبهى حللها الاقتصادية فالمال وفير والتقدم العمراني واضح والفرد منتعش والعلاقات الدولية مرتبة وغير ذلك من مظاهر الازدهار .
٢- أن النقول التي نقلتها هي من أصح ما يمكن وجوده في العالم من نقول بل هي على منهج أهل الحديث في الجملة في نقد الروايات:
إسنادها عال جدا فكلها تقريبا عمن عاصر الملك عبد العزيز ولقيه وهو يذكر ما لمسه بنفسه وشاهده بعينه
ورواتها أعلام في عصرهم بل كثير منهم علماء أتقياء مشهود لهم بالصدق والأمانة
ومنهم من ذكر ما ذكره على وجه الاستغراب لأن صفات الملك عبد العزيز كأنها خارجة عن نواميس الكون بالنسبة له وهذا يظهر على وجه الخصوص في كتابات الأجانب
ومنهم من لم يكتب عن الملك عبد العزيز مادحا وإنما مؤرخا له في جملة ملوك وأمراء العرب فلماذا اختلف عنهم ؟
وأكثرهم إنما كتب ما كتبه قبل البترول والأموال التي يظن الظان أنها سبب الإطراء ، أو بعد أن مات الملك عبد العزيز وفارقه الكاتب وفارق دياره بعد أن كان من المقربين إليه فليس له مأرب أو مطمع أصلا.
٣- أن ممن نقلت عنهم من عرف بمجابهته للحكام وانتقاده لهم وبذله مهجة روحه في سبيل مبادئه ولا يمكن أن يداهن في ذلك لحظة فإذا به مع عبد العزيز نوع آخر تماما .
٤- أنه لو سلم لك أن منهم من كتب مجاملة أو لمقصد فهل يعقل أن يصل هؤلاء إلى قرابة الألف بل قد يزيدون وليتهم ألف نكرة ولكنهم من أعرف المعارف فهم علماء ومفكرون وعسكريون وأدباء وشعراء وغيرهم ، ثم لماذا اختصوا عبد العزيز من دون غيره ممن يمكن أن ينالوا منه أكثر مما يظن نوله من عبد العزيز ؟
أما الشبهة الثانية فالرد عليها من عدة جوانب أيضا منها :

أولا : أنه لم يوجد المخلوق الذي سلم من النقد والافتراء عليه ، فهذا نبي الله محمد ﷺ خيرة الخلق قد ألف فيه كثيرون ممن استهدفوا النيل من شخصه الكريم فهل يعني هذا صحة ما ذهبوا إليه ؟ بل فضت الأفواه وشاهت الوجوه وكبرت كلمات تخرج منهم إن يقولون إلا كذبا.
ثانيا : أن النقد المزعوم أصلا غير موجود حاليا فالاكتفاء بما هو موجود وثابت لا مفر منه حسب ما تمليه علينا شريعتنا .
ثالثا : أنه في حالة وجود الانتقاد لا بد فيه من توافر ما توافر في الإطراء والثناء العطر من صحة السند وهيهات لذلك .
رابعا : أنه من المقرر عند أهل الحديث وهم أدق الناس في قبول الأخبار أن التعديل لا ينقضه الجرح إلا إذا كان مفسرا ، فكيف بمن استفاضت عدالتهم واشتهرت ؟ والملك عبد العزيز في القمة من هؤلاء ، فلا يقبل فيه إلا ما كان في أوج الثبوت .
خامسا : أنه على افتراض توافر ما شرطته الآن فالمسلك هو إحسان الظن وتوجيه ما ثبت بما يوافق العدالة المقررة بالاستفاضة .
يقول الزركلي :
قل أن تناول عدد من الكتاب والمؤلفين من أمم مختلفة، سيرة " رجل " في حياته، يقارب عدد من تناولوا سيرة " عبد العزيز " بين دارس يهتم ببعض خلاله، ومؤرخ يدون أحداث عصره ، ومعجب يطري ويثني ، ورحالة يتتبع ويستقصي .
أما " الكتب " المصنفة في " عبد العزيز " أو التي ملأت أخباره جانبا كبيرا منها، فإنها تؤلف مكتبة خاصة . وأما الفصول والمقالات فأكثر من الكثير .
وقد اتفقت كلمة العلماء والأدباء والمفكرين والشعراء والمؤرخين والسياسيين من المسلمين والكافرين في المصنفات الكثيرة التي وقفت عليها على تدين الملك عبد العزيز وسلفيته الواضحة وعزوفه عن مغريات الحياة .
وقد أثنى عليه الكثيرون ومن هؤلاء عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية آنذاك :
ليس في يده إلا سيفه وكتاب الله عدته ، وقد عرفته منذ قرابة ثلاثين سنة هو هو الرجل الذي يملأ سمع الدنيا وبصرها .
عرفته وهو لا يملك من المال لإدارة هذا الملك الواسع إلا الكفاف .
وعرفته والدنيا تفيض بين يديه خيرًا وبركة فلم يكن إلا عبد العزيز بن سعود...
ولد سيدا ومات سيدا .

يعطي كل ما يملك من القليل ويعطي كل ما بيده من الكثير .
لا يعرف المن والأذى . كان رجلا ، إذا أخذت الأمور على طبائعها فإنه ليس إلا شيخا كبيرا من قوم من البدو .
لم يكن عبد العزيز بن سعود وقتئذ يملك الجيوش ولا الأموال ولا فاض على بلاده زيت الجزيرة . ولكن شخصية عبد العزيز ، قبل كل شيء ، هي التي جعلت من مثل روزفلت وتشرشل وحتى هتلر قبل ذلك ، وموسوليني طلابا لوده فخورين بالصلات التي يقيمونها معه .
ويقول أحمد عسه :
لقد وعى التاريخ أسماء عظماء شيدوا دولا وممالياك ..... ولكنه لم يع فردا نقل بجهده وقيادته وتصوره وتخطيطه وتنفيذه مجتمعا بأسره من طور حضاري آخر أكثر تقدما ورقيا (باستثناء الأنبياء وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ) فجاء عبد العزيز ليكون الظاهرة الفريدة المعجزة ولذلك كان أكثر من ملك وأكثر من قائد موهوب ... وأكثر من سياسي .. وأكثر من مصلح وإمام لأنه كان كل ذلك معا .
ونحن في هذا المقال سنحاول تصور شخصية الملك عبد العزيز الإسلامية من خلال مواقف واقعية من مواقف حياته فقد كانت حياة الملك عبد العزيز كلها بالإسلام وللإسلام
قال رحمه الله :
دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ ، فإما حياة سعيدة على ذلك وإما موتة سعيدة .
ويقول :
إن الإسلام شريعة سمحة لا غلو فيه.. اختاره الله للمسلمين من بين الشرائع وفضله على جميع الملل. دين الإسلام دين الإنسانية والسماحة، ولقد أرسل الله رسوله محمدا ﷺ بأشرف الكتب لخير الأمم، فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.. ولقد أعز الله الإسلام بالسنة المحمدية، فما في كتاب الله تؤيده السنة وما في السنة يؤيده الكتاب .
وأما كلمة التوحيد فلأجلها قاتل عبد العزيز ولنشرها عمل
قال رحمه الله :
من نعم الله علينا معرفة كلمة لا إله إلا الله ..
وكل إنسان يعمل بها تتم له السعادة.. فهذه الكلمة هي كل شيء ، ومضمون كل شيء..

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي سمعت الملك عبد العزيز يقول : اسمعوا أيها الإخوان أنا عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعره ؛
الأول : كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله اللهم صلى وسلم وبارك عليه إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضن به .....
وقد جعل الملك عبد العزيز علم المملكة بخلفية خضراء تحمل كلمة التوحيد والسيف وجعل شعارها النخلة وسيفين .
والملك عبد العزيز داعية للتوحيد ومقيم للشريعة وبان للوحدة ، وهذا ما يتطلع إليه الدعاة المفكرون الصادقون المستنيرون في العالم الإسلامي.
وكان الملك عبد العزيز رحمه الله دائما يتمثل بقول مالك رضي الله عنه : لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها .
يقول كشك :
عبد العزيز وحده بدا ظاهرة مخالفة لقوانين التاريخ .. وحده كان يطرح الحل الإسلامي وينتصر .. وحده كان يرفع شعارات اعتقد البعض أنها أصبحت في ذمة التاريخ وفقدت مفعولها فإذا بها في معسكر عبد العزيز تفعل الأعاجيب ، وتثبت أنها وحدها التي استطاعت أن تحقق إنجازا هو الذي بقي ، بينما تلاشت أوهام وأحلام الذين تخلوا عن الإسلام في مطلع القرن العشرين بأمل النجاة من الاسترقاق الأوربي أو تحقيق التقدم المادي .
تحت راية عبد العزيز التي تحمل شعار التوحيد الإسلامي ، رأى الناس جيشا ، إن لم يكن جيش الصحابة فهو يحاول جهده أن يعيد سيرتهم ، وينتصر بينما الهزيمة على كل الجبهات ها هو زعيم استطاع هو وقومه أن يغيروا ما بأنفسهم فغير الله ما بهم وسلطهم على من لا يخشون الله.
وكان الملك عبد العزيز يسعى قدر طاقته لتعريف المسلمين في البلاد العربية والإسلامية بالعقيدة الصحيحة بعدما طرأ عليهم الخرافات والبدع وذلك من خلال عدة وسائل أهمها :
١- اللقاء بوفود الحجيج وحثهم على التمسك بالدين الصحيح ليكونوا دعاة إلى المنهج السلفي بعد عودتهم إلى بلادهم
٢- دعم ونشر الكتب والمجلات والنشرات الإسلامية التي توضح الدين الحق والإسهام في توزيعها وإرسالها إلى العديد من البلدان
٣- دعم العلماء السلفيين في مختلف البلدان ماديا ومعنويا لإيضاح الحق والرد على من يحاول تشويه صورة الدعوة وحقيقتها

٤- إرسال الدعاة إلى هذه البلدان للتعرف بالمنهج السلفي حيث أرسل الملك عبد العزيز الكثير من العلماء والدعاة إلى توحيد الله وعبادته.
وقد قام الملك عبد العزيز رحمه الله بحماية المملكة من أن يتسلل إليها شيء من عقائد الكفار من نصارى وشيوعيين وغيرهم وتحريم دخول المنصرين إليها أو وجود صلبان أو غير ذلك من شعارات الكفار كما حرص على عدم دخول الشيوعيين بلاده .
قال الدكتور محمد ناصر الشثري : حدثني والدي عن الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع قال عينني والدي الملك عبد العزيز أميراً على الرياض وفي ذات يوم استدعاني على عجل فحضرت مسرعا فقال أيدخل الشيوعيون بلادي وأنا على قيد الحياه ؟ كأنه قد رأى في المنام أنه يوجد في الرياض شيوعي قال فأحضرنا له جوازات الأجانب الموجودين في الرياض حيث كانت جوازات الأجانب في ذلك الوقت تبقى عند أمير المنطقة إلى أن يغادر الأجنبي وكان الأجانب في ذلك الوقت قلة قال فلما أحضرنا إليه الجوازات فنظر في صورة أصحابها فأخرج منها جوازًا وقال هذا هو قال الأمير فبحثنا عنه فوجدناه في أحد أحياء مدينة الرياض وإذا هو شيوعي كما ذكر الملك عبد العزيز فرحل خارج المملكة .
وقد أغلق رحمه الله الباب في وجه المنصرين فلم تقم لهم قائمة في الأراضي السعودية
وفي تقرير للقنصلية الأمريكية بالقدس :
ألقى القبض على الريفرنس جورج بريدن والريفرنس وليم سمالي اللذين يعملان مع بعثة الحدود العربية التابعة لهيئة التبشير المسيحي المتحد وكانا قد قاما برحلة إلى الحجاز في نوفمبر ١٩٢٧ - ربيع ثاني ١٣٤٦ هـ، عن طريق معان والعقبة بهدف بحث إمكانيات بدء نشاط تبشيري وتعليمي في البلاد وقد ألقي القبض عليهما ورحلا عبر جدة مع وضع تأشيرة على جوازاتهما بمنع دخولهما الحجاز أو نجد ويبدو أن المستر فيلبي هو الذي نصح بالإفراج عنهما وتحرير خطاب للمفوضية الأمريكية لتحذيرها من إرسال مبشرين إلى نجد والحجاز مرة أخرى .
وقد تصرف الأمير فيصل بحزم وكتب باسم وزارة الخارجية في مكة ، إلى القنصلية الأمريكية في القاهرة : إن الحكومة لن تسمح أبدا مهما كانت الأسباب لأي شخص بأن يمارس التبشير بالمسيحية في الحجاز ، والحكومة لا تتحمل أية مسئولية عن مصير أي مبشر يدخل البلاد بدون علم وإذن منها .

وقال المبشران في تقريرهما الذي يطفح جهلا وتعصبا : إن الأمير فيصل هو المسئول عن كل ما نزل بنا من نكد وأصابنا من تعب .
وجاء في التقرير أنهما حاولا تبشير الجندي الذي رافقهما فكان رده : أقسم بالله لولا هذا البحر الذي يحجزنا لذهبنا إلى الغرب وأدخلناكم جميعا في الدين الصحيح . فسألته كيف ؟ قال : بالسيف وهكذا دلت إجابته على روح الإسلام الأول.
ومن فرط إحساس الملك عبد العزيز بمعاني التوحيد أنه كان يقظا لكل لفظ يجرح هذا التوحيد
فالتوحيد أقام الملك عبد العزيز نفسه عليه عقيدة وسلوكا
كان في إحدى زياراته لبلدة الخرج إذ دخل عليه شاعر من أهل نجد وفي يده قصيدة استأذنه في إلقائها وابتدأ بمطلعها :
أنت أملنا وفيك الرجاء
فصاح الملك عبد العزيز قائلا : تخسأ تخسأ !! ولمح في المجلس أحد طلبة العلم ، فقال علمه التوحيد .
فهو يدرك أن هذه الألفاظ من معاني توحيد الألوهية لا يجوز صرف شيء منها لغير الله .
وفي اجتماع الملك عبد العزيز بالملك فيصل بن الحسين ، أراد فيصل تأكيد أمر ، فقال : وحياة رأسك فنظر إليه عبد العزيز وقال : قل والله .....
وحينما استولت الحكومة السعودية على الحجاز ودخل الملك عبد العزيز جدة كان من أوائل الأعمال التي قام بها هدم قبة حواء ، وقفل الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزمان والتي كان يتقرب بها الناس كما يظنون إلى الله تعالى.
وقد هدم الملك عبد العزيز صنما كان في دوس ويذكر ابن بليهد أنه ذو الخلصة الذي هدمه النبي ﷺ قبل ذلك وأرسل إليه جريرا البجلي .
وهذا الصنم كان يقع في منطقة تبالة قرب بيشة حيث هدم بواسطة عامل الملك عبد العزيز على تلك الناحية عبد العزيز بن إبراهيم ونكل بسدنتها وتوعدهم بالقتل إذا عادوا لبنائها .
ولما مر الملك عبد العزيز في زيارته لمصر على الأهرامات وأبي الهول كان معه في سيارته خير الدين الزركلي فسأله قائلا : ترى ما كان رأي الصحابة الذين دخلوا مصر ورأوا هذه الآثار ؟ قال الزركلي : قلت : كان أكثرها مغمورا بالرمال ولاسيما أبا الهول وكان يظهر منها هرمان نسب بناؤهما إلى النبي إدريس قال :

ومتى ظهر أنها قبور ؟ قلت : من عهد قريب يا طويل العمر . فزال عجبه .
وكان يقابل شرح رجال الآثار له عن كيفية بناء تلك الأهرامات وتاريخها بآيات من القرآن منها قوله تعالى ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾،﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾
وكان الملك عبد العزيز رحمه الله معتزا بإسلامه ثم بعربيته التي جاء الإسلام في ثوبها ويكره التشبه بكفار العجم وغيرهم
ومن ذلك أنه رحمه الله عندما قدم مكة رفض تقبيل الوفود ليده الكريمة وقال : إن المصافحة من عادات العرب ومن فعل الصحابة مع الرسول ﷺ ومع بعضهم بعضا ، وعادة تقبيل اليد جاءتنا عن الأعاجم .
أما اللباس فقد التزم رحمه الله باللباس العربي الإسلامي طيلة حياته أينما حل وارتحل وهو بالطبع اللباس الرسمي للدولة بل استطاع رحمه الله أن يجعل ضيوفه يلبسون هذا اللباس ويفخرون به وتلتقط لهم الصور وهم فيه مع رفضه التام أن يلبس هو مثلهم ، بل كانت هديته لمن يفد عليه تتضمن هذا اللباس أيضا .
ولما علم جلالته في زيارته لمصر أن الاستقبال في السويس سيكون رسميا قال : ليس عندنا ردنجوت ولكننا سنلبس الردنجوت العربى . وأمر جلالته أنجاله ورجال حاشيته بأن يلبسوا العباءات السوداء .
وكان الملك عبد العزيز من أشد الناس بغضا لدعاوى المدنية الفارغة وأقواله في ذلك كثيرة ومنها قوله :
وإني أرى كثيرا من الناس ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا علينا إلا لاتباعنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال " العصرية " فأما الدين فوالله لا أغير شيئا مما أنزل الله على لسان رسوله ﷺ ، ولا أتبع إلا ما جاء به وليغضب علينا من شاء وأراد.
وأما " الأمور العصرية " التي تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا بالتمسك به.
فإذا سرنا نحن المسلمين على هذا المنوال ، فهناك الرقي والحضارة والتمدن ، أما إدعاء هؤلاء المتفرنجين من المسلمين أن التمسك بحبل الدين يرجع بنا القهقرى إلى الوراء ، فهو إدعاء

باطل وقول مكذوب، لأن الدين لا يمنع الناس عن تعلم الصناعات وما شاكلها ، بل هو يحث عليها في مواضع كثيرة من محكم آياته . أولئك الذين يزمرون ويطبلون لحضارة الغرب ومدنيته ويريدون منا أن ننزل عندها فنتمثلها في بلادنا وبين أقوامنا ، فإننا نسوق إليهم الحديث بتوجيه أنظارهم إلى هذه الأزمة الخانقة . وإلى هذا التبلبل السياسي وإلى هذه الفوضى الاجتماعية السائدة في تلك البلاد ، فإن نظرة واحدة لمن يتدبر في هذه الأوضاع السائدة في هذه الأيام يلمس فساد تلك النظريات المتسلطة على عقول السذج من المسلمين ومن العرب .

وقال غلام رسول مهر وهو يتحدث عن رحلة حجه :

وكان السلطان قد تعرض بعد انتهائه من حج العام الماضي إلى مواجهة عصيان بعض قبائل نجد، فعاد إلى نجد ولم تواته الفرصة للقدوم إلى الحجاز طوال العام، وقام بعض قصار النظر في الحجاز في غير وجوده بحركة تدعو إلى الاحتفال بيوم جلوسه على العرش ، قاموا بإحياء بعض التقاليد العربية المعمول بها في مثل هذه المناسبات، ووجهت الدعوات إلى الصحافيين المصريين والشاميين بصفة خاصة، وسمعت أنه في هذا الحفل، ارتفعت هتافات عالية تردد : عاشت القومية العربية، عاشت القومية العربية، وعلم السلطان بكل هذه الأمور فغضب كثيرا وقال :

إنني أحمل رأسي على كفي من أجل الإسلام، وأريد أن أحطم كل أصنام النزعات الأخرى ولا يبقى لنا إلا الإسلام، وأتباعي هناك يرددون "عاشت القومية العربية" ؟؟ يريدون أن ينحرفوا عن هدفنا السامي- أي رفعة الإسلام - وأن يندفعوا وراء نعرات القومية والوطنية التي يروج لها في أوروبا وإفريقيا ؟.

بعد أن وصل السلطان إلى مكة المكرمة، رأى أن يحطم في أول خطاب شعبي له القومية الإفرنجية، الذي حاول بعض قصار النظر نصبه في ساحة الحرمين ، أثناء غياب السلطان، ويقال إن الملك راح يعدد عيوب حركة القومية العربية الجديدة، وكان غاضبا مغتاظا فقال :

أنتم تقولون نحن عرب، لكن من هم العرب ؟ ألستم أنتم العرب الذين آذوا رسول الله ﷺ وأخرجوه من دياره ؟ ألم يملأ العرب البيت المقدس بالأصنام ؟ ألم يخالفوا الدين القيم ؟ ألم يكن أبو جهل وأبو لهب من العرب ؟ أليس ما تفخرون به وتعتزون به كان أكثر الأشياء كراهية لدى العالم قبل الإسلام ؟ ولهذا فالشرف لا يكون بانتمائكم إلى ما يسمى بالأمة العربية ، بل الشرف يكون بانتمائكم إلى الإسلام، لقد أعزكم الله لأنكم رفعتم راية الإسلام ،

فلماذا إذن تجري على ألسنتكم تلك الهتافات : عاشت الأمة العربية ؟ لماذا لا تهتفون : عاش الإسلام، عاش الإسلام ؟ لم ينل العرب عزا إلا بالإسلام، ولم ينل العرب شرفا إلا بالإسلام ، ويشترك في هذا العز والشرف كل أبناء التوحيد من بين جميع البشر، سواء كانوا من سكان أفغانستان أو من سكان إيران، أو من مصر أو من الهند، يجب أن ينطق لسانكم بكلمة واحدة أقصد : عاش الإسلام . الإسلام مبدؤكم والإسلام معادكم ، به تنالون الشرف، وبه تكونون أفضل الأمم ، والقومية العربية باطل ، وكل ما عدا الإسلام باطل...
ويقال إن هذا الخطاب فتح عيون الجميع فندموا على ما فعلوا .

***

وأهم علامات محبة النبي ﷺ اتباعه وقد كان الملك عبد العزيز كما سيأتي كثيرا من أكثر الناس اتباعا له ﷺ ، وقد ذكر أعداء الوهابية من المخرفين أن الوهابيين يمنعون الصلاة على النبي ﷺ ويعاقبون من يصلي عليه .
ولكن يأبى الله إلا أن يدحضهم بالواقع العملي ومن ذلك ما ذكره أمين بك الرافعي في رسالة من رسائله المكية إلى جريدة السياسة في حديث جرى بينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود فنص فيه على أن من عادته تكرار الصلاة والسلام على النبي ﷺ كلما ذكره في المجلس وإن كثر وهو لم يعهد هذا من أحد غيره .
وكان رحمه الله يرافقه المؤذنون والقراء ويحرص على صلاة الجماعة حتى في السفر .
قال ويليام إيدي وهو يتحدث عن رحلة الملك عبد العزيز بالمدمرة الأمريكية للقاء روزفلت :
ولم ينم الملك في حجرة الربان لأنه وقد تربى وشب في الصحراء فإنه كان لا يفضل النوم بين أربعة جدران ففرش له على مقدم ظهر السفينة قماش غليظ ليصبح خيمة وغطي ظهر السفينة بالبسط ...
فجلس الملك على ظهر السفينة وعقد مجلسه طوال اليوم كعادته وعندما كان يحين وقت الصلاة يوجه ملاح السفينة البوصلة على الاتجاه الصحيح لمكة المكرمة ويتفحصها الملك بدقة مع فلكيِّه (ماجد بن حثيلة فلكي القصر الملكي) ثم يتجه إلى المدينة المقدسة ويؤم أصحابه العرب في صلواتهم .
يقول ويليام :

وقد كنت صلة اللسان والعادات الوحيد بين أفراد البحرية ..... فكانت مهمتي أن أقوم بالترجمة والوساطة فكان علي أن أمنع الخدم العرب من أن يصنعوا القهوة على مواقد الفحم فوق مخازن المتفجرات وأن أغير طريق البحارة حتى لا يمروا ذهابا وجيئة أمام العرب وهم في صلاتهم إذ أنه لا يجوز (لكافر) أن يلقي بظله بين المسلم وبين مكة وهو يصلي .... وأن أحاول بكل وسيلة أن أعثر على أي عربي ضل طريقه فيما بين المنعطفات المعقدة في السفينة وأن آتي به في اللحظة التي يطلبه فيها الملك فجأة ، ففي مناسبة من هذه المناسبات كانت الشمس قد غربت لتوها تحت الأفق في البحر وكان الملك قد أوشك أن يؤم الجماعة في صلاة المغرب فسأل : أين منصور ؟ ولكن أحدا لم يعرف مكانه فطلب إلي الملك أن أجده وأحضره وكان الأمير منصور قد ضل سبيله في أحد الأمكنة في السفينة وغالبا ما يكون قد التبس عليه مقدم السفينة بمؤخرها ولم يكن من المستطاع إعادته إلى أعلى مقدمة السفينة إلا بعد أن انتهت صلاة الجماعة ولقد استشاط الملك غضبا لذلك حتى ظللنا جميعا واقفين في هدوء تام حتى أتم الأمير منصور صلاة المغرب والنافلة باطمئنان وخشوع فليس في الصلاة عند المسلم التقي تمايز في المنزلة وليس فيها مقاعد أمامية لذوي المكانة فالله سبحانه وتعالى قاهر فوق عباده الذين يتصاغرون أمام وجهه حتى تتضاءل فيما بينهم فوارق المنزلة وتتلاشى ولذلك فإنه لا يسمح لعبد في التهاون في الواجبات الدينية وقد أوضح الملك للجميع أن ابنه ليس له من الرخص أمام الله أو عند الملك غير ما لغيره من المسلمين .

ويقول عبد الحميد الخطيب :

عندما كنت بالرياض زرت مدرسة الأمراء يوم الخميس ٢٠ ربيع ثاني سنة ١٣٥٥ هـ وكان مديرها إذ ذاك السيد أحمد العربي أحد أصدقائي فوجدت أحد أبناء الملك الصغار يبكي فقال له مدير المدرسة: ما يبكيك ؟ فقال : إن أخاه فلانا أدخله أبوه (الملك) المسمط يعني (السجن) لأنه لم يصل الصبح مع الجماعة .

وأنشئت في كل بلدة من بلدان المملكة إدارة لجباية الزكوات مستقلة عن غيرها مرجعها حاكم البلدة الإداري والملك عبد العزيز مرجع الجميع.

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله قد جعل لكل منطقة بيت مال وجعل له أمينا من مهامه جمع الزكاة من أهل البلد التابعة له وفي فترات الفقر والحاجة وصل الأمر إلى أن بلدة حرمة لم يكن لدى أهلها من الزكاة سوى ثلاثون ريالا وبلدة الجنوبية سبعة

عشر ريالا وبلدة التويم عشرون ريالا وبلدة العودة والجنيفي ولا ريال واحد وكان المسئول عن منطقة سدير وهذه القرى تابعة لها حمد بن عبد المحسن التويجري .
ومن حين دخول الملك إلى الأراضي الحجازية أمر باستحصال الزكاة على المزارع والمواشي ، بموجب الأحكام الشرعية الخاصة بها .
وكان فقراء مكة والمدينة يترقبون خروج الملك عبد العزيز إلى العيد، بصبر نافد، فما أن تبارح سيارته القصر حتى يقف الفقراء على الجانبين فيلقي إليهم ببدرات المال، وإذا فات أحد الفقراء الحصول على نصيبه من المنحة الملكية، عمد إلى تقديم كمية من اللبن أو التمر أو الخبز له رحمه الله ، فيشتريها ويمنحهم مالا وفيرا ، تتضاءل بجانبه قيمتها الحقيقية ، وذلك لكي يحفظ عليهم كرامتهم وشعورهم إذا ما منحهم ، شيئا بغير مقابل .
وقال عبد الله الفيصل متحدثا عن جده :
تشرفت بمصاحبته مرة في رمضان من قصر الديرة ، إلى المربع وكان هناك عمال يقومون ببعض الترميمات فوقف وسأل عن رئيسهم فاستدعى له، فسأله عن مواعيد عملهم ؟ فقال : نبدأ العمل من الساعة الثانية صباحا حتى الساعة الثامنة . فقال : يالله العجب أنا لا أعمل بيدي وأستعمل السيارة في ذهابي لقصر الحكم وعودتي منه ، ولا أمكث هناك أكثر من أربع ساعات وأشعر مع ذلك بالعطش وأنتم تعملون معرضين للسموم ستة ساعات ؟ من الآن وصاعدا لا تعملوا في رمضان أكثر من أربع ساعات في أول النهار . ولكم أجركم كاملا
وكان الملك عبد العزيز في طريقه إلى الحج حسب عادته السنوية وهو يستقل سيارته الخاصة ، وفجأة حدث خلل في إحدى إطاراتها فتوقف ونزل منها ليستطيع السائق إصلاحها وجلس رحمه الله على الأرض الرملية، وبينما هو كذلك إذا براع على جمل يقف ويسأله هل مر الملك من هنا ؟ دون أن يفطن إلى الملك رحمه الله ، فرد عليه جلالته قائلا: ولماذا تسأل عن الملك ؟ فقال : لقد سمعت بأنه في طريقه الآن إلى مكة للحج وإنني أرغب في رؤياه ، وسأرى فيما إذا كان سيمنحني هبة مالية لأستطيع أن أحج أنا أيضا أم لا ؟ فأخرج رحمه الله كيسه الخاص المملوء بالقطع الذهبية وهو الذي يحفظه دائما معه للتصرف فيه عند الاقتضاء ، وملأ يده بحفنة منه وأعطاه له، فدهش الراعي وتطلع إليه قائلا : لقد عرفتك بعطيتك وإن كنت لم أعرفك بوجهك .

وعلى الرغم من كون الدولة الناشئة في حاجة إلى الموارد اللازمة لتمويل مشاريعها للإنفاق على ما تصبو إليه من عمران وتنمية ، حرص الملك عبد العزيز على مساعدة المسلمين وتقديم العون إليهم ولعل ما قام به _ يرحمه الله _ في حج عام ١٣٧١هـ من إلغاء لرسوم الحج التي كانت تؤخذ من الحجاج يعتبر من النماذج الحية الشاهدة على صدق المساعدة وطهارة المقصد منها ، وهذا ما عبر عنه المسلمون في مختلف أنحاء الأرض . وكان من عادته رحمه الله أن يقيم للحجاج مآدب واحتفالات ويلقي فيهم خطبه المليئة بالمواعظ والتوجيهات الشرعية في شتى المجالات وعلى وجه الخصوص في عقيدة التوحيد وأركان الإسلام والاعتصام بحبل الله وعدم التفرق ونبذ الدعوى الكاذبة من حرية ومدنية وتجديد .

وقال ناكانو الياباني في رحلته :

وفي بحرة زودنا السيارات بالوقود، إذ ينبغي لنا أن ننطلق إلى منطقة الوادي، والوصول إلى هناك يتطلب السير إلى الناحية الغربية ، غير أن هذا كان طريق الحج الذي لا يمكن أن يمضي فيه إلا المسلم ، ومن هنا كان علينا أن نأخذ الطريق من الناحية الشمالية، وهو ليس بطريق بمعنى الكلمة بل هو ممر ضيق، وعلى الرغم من أننا ضيوف جلالة الملك فإنه لم يكن مسموحا لنا بالسير في هذا الطريق الذي يسلكه الحجاج إلى مكة، وقد سمعت أن اثنين من عائلة إثلون الملكية البريطانية (وهما اللورد أنطون والأميرة أليس قاما بزيارة رسمية للمملكة العربية السعودية) حضرا إلى هذا المكان قبل عامين، ولم يسمح لهما بعبور طريق الحج المؤدي إلى مكة ، ولو حتى بطريقة سرية، مما جعلهما يسيران على الممر الضيق نفسه الذي سلكناه نحن أيضا ، لأن حكم الشريعة الإسلامية واضح، وقوانينها صارمة لا تفرق بين الناس مهما كانت منزلتهم .

وأرسل الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله برقية إلى الحكومة المصرية يبسط فيها القول في حكم الشرع في المسائل الثلاثة (وهي زيارة القبور والموسيقى وشرب الدخان) وغيرها، بسبب ما أذاعه دعاة السوء والتفرقة بين شعوب المسلمين من أن حكومة جلالته في الحجاز ستمنع كذا وكذا فسألت الحكومة المصرية حكومة جلالته عما يريد أن يتخذه من الإجراءات مما يتعلق بالحجاج، والمحمل على الأخص، فورد عليها جواب جلالته بالبرق، وهذا ملخصه كما نشرته جرائد القاهرة قالت :

أما البرقية فطويلة وقد استهل الملك ابن السعود برقيته بشكر الحكومة المصرية وجلالة ملك مصر وامتدحهما على ما بذلوه من المساعدة للحجاز وأهله، ثم قال: إنهم (أي حكومة مصر وملكها) ذخر الإسلام، ولذلك فإنه يرجو أن يكونوا عونا له في إقامة ما أمر به كتاب الله وسنة الرسول ﷺ .
تكلم عن حالة الأمن واستتبابه في البلاد الحجازية، وعدم وجود ما يخشى منه على سلامة الحجاج، وذكر أنه يقابل المحمل وركب المحمل على الرحب والسعة، ويرحب بهم الترحيب اللائق بمقامهم وبمصر وبأهل مصر وبملك مصر ويسمح بدخول البعثات الطبية كلها.
وذكر أنهم لا يتعرضون لعقائد الناس، ولا يتدخلون في معتقداتهم، ولكنهم يمنعون ما لا يقره الدين. وقال إنهم لا يمنعون أحدا من زيارة القبور، ولكنهم لا يسمحون بالغلو في ذلك مثل التمسح وتقبيل العتبة والحوائط، فإن الطواف لا يكون إلا ببيت الله الحرام فقط (أي الكعبة) وقد نهى الأئمة والسلف الصالح عن الطواف بالقبور.
وتكلم عن الموسيقى والدخان، وذكر أنه يلفت نظر الحكومة المصرية إلى ما سيذكره في شأنهما ويرجو الموافقة عليه حفظا لأواصر الصداقة والود.
وقال عن الموسيقى إنها ولو كانت مسلية للجند ومنظمة لسيرهم فإنها تلهي عن ذكر الله في البلاد التي أوجدها الله لذكره . وقال إنه يقبل مجيئها لغاية جدة فقط ، لأن فريقا كبيرا من أهل نجد وغيرهم يعدها من الملاهي التي لا يصح استعمالها لاسيما في أوقات العبادة .
وقال عن الدخان إنه شجرة خبيثة يجب أن نطهر منها البلاد المقدسة التي لا يحرق فيها إلا العود والند والمسك. وذكر أنه منع شرب الدخان جهرا .
ولما وصل الكتاب إلى وزارة الداخلية المصرية أحالتها على صاحبي الفضيلة شيخ الجامع الأزهر والمفتي لأن ذلك من شأنهما فكان جوابهما بموافقة الملك عبد العزيز رحمه الله بعد تقرير طويل .
والملك عبد العزيز يحب كل فنون العلم ويتفانى في حبه .
الملك عبد العزيز قل أن مرت عليه ليلة لم يستمع فيها إلى درس العلم من تاريخ وأدب وتفسير ودين ، وقد رتب له قارئا فصيحا يجيد أداء الألفاظ يقرأ لجلالته كل ليلة في مجلسه العام كتابا ضخما من كتب التاريخ أو التفسير أو الأدب، مثل تاريخ ابن جرير وتفسيره

، أو تاريخ ابن كثير وتفسيره ، أو كتاب الآداب الشرعية، أو نحو ذلك، فيقرأ له كل ليلة في كتاب أو كتابين من هذه الكتب في حال وجود الزائرين، فإذا ما دخل داخل أثناء القراءة جلس بصمت وهدوء حيث انتهى به المجلس. وبعد الفراغ من الدرس يقرأ السلام على الداخلين، ثم يفاوض الجالسين في بعض مباحث الكتاب الذي جمعوه ، ويبدى الملاحظات، ويطلب إلى الحاضرين إبداء آرائهم ويهبهم الحرية المطلقة في ذلك . فالملك في هذا الصنيع يعيد عهد خلفاء صدر الإسلام، ويبعث حقائق لأسلاف المسلمين كان المسلمون من قبله لا يظفرون بها إلا في بطون الكتب والتواريخ .

وقد كان الملك عبد العزيز خلا علاقته بكتاب الله الآتي ذكرها يحفظ الرحبية في الفرائض ، وتعلم زاد المستقنع في الفقه ويحفظ من كتب الأحاديث الأربعين النووية وبلوغ المرام

وكان له ورد خاص يقرؤه يوميا عن ظهر قلب .

وينص التمهيد لسياسة التعليم في المملكة في عهده رحمه الله على أنها تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقا وشريعة وحكما ونظاما متكاملا للحياة .

ومن أسسها التعليمية :

- الإيمان بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.
- التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة .
- الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة .
- العلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي .
- الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية وأنها خير أمة أخرجت للناس والإيمان بوحدتها على اختلاف أجناسها وألوانها وتباين ديارها .
- الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة والأفراد .

وقد كان الملك عبد العزيز يقضي معظم وقته في سفره وحضره في طلب العلم النافع ومن ذلك أنه كان بعد تناول طعام الضحى الذي يتناوله بعد أذكار الصباح التي تعقب الاستماع إلى تلاوة القرآن يركب وينادي ابن الشيخ فيحضر أحد طلاب العلم من أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويأخذ بزمام ناقته أحد الخدم فيتناول من حقيبته لأول الأمر صحيح مسلم ويقرأ فيه ما شاء الله ، وبعد ذلك يأخذ تاريخ ابن الأثير فيقرأ فيه ، وكان يقرأ لهم في الطريق

من السيرة النبوية التي كان لها في نفوسهم أثر عظيم ، يدعو إلى التأسي بأفعال الرسول ص وأصحابه الذين لاقوا من النصب والتعب في سبيل الدعوة الإسلامية ما لاقوا . وقد ينتهي القارئ الساعة الرابعة من النهار .
ثم يستأنف ابن الشيخ قراءته بأمر من الملك عبد العزيز رحمه الله بعد صلاة العصر فيتناول من حقيبته كتاب الترغيب والترهيب فيقرأ منه طائفة طيبة ، ثم يتناول بعده كتاب آداب ابن مفلح فيقرأ منه ما شاء الله إلى قرب مغيب الشمس .
وأما مكتبة الملك عبد العزيز الخاصة فكانت تحتوي على كم هائل من الكتب الشرعية وهي التي تشغل الجانب الأكبر من كتب تلك المكتبة العظيمة .
وللملك عبد العزيز في التعليم ثمان تجارب أساسية وهي :
نظام الهجر ، نظام التعليم في المسجد الحرام ، المعهد العلمي السعودي، مدرسة تحضير البعثات ، مدرسة الأمراء ، دار التوحيد ، مدارس البترول ، كلية الشريعة.
وأعظم تجربة فيها هو نظام الهجر:
وإن الحقيقة التي تستند إلى الواقع وإلى روايات المعاصرين لهذه الهجر وإلى كتابات المحققين المحللين لهذا المشروع تؤكد أن الهجر كانت هجرة بالمعنى الديني غرسها علماء الدعوة في قلوب البدو مما جعل من هذه التجربة ظاهرة لم تتكرر منذ عصر النبوة .
قال كشك :
من المؤسف بالطبع أنه لم تتح لنا الدراسة الوافية عن الحياة في ذلك المجتمع النموذجي الفريد من نوعه ولكن الأخبار المتناثرة تؤكد حالة عقائدية من اللواتي تغير مجرى التاريخ ، وقد وصف هاريسون الرياض عام ١٣٣٦هـ فقال :
هذه المدينة يعيش سكانها للعالم الآخر . المئات يدرسون في المساجد ليتخرجوا وعاظا يتوجهون لهداية القبائل البدوية ! إنها مركز نظام تعليمي ديني يمتد إلى كل قرية في وسط الجزيرة ، ويقدم التعليم للجانب الأكبر من ذكور المدن والذي يتغيب عن الصلاة يضرب . ومن الممكن القول بأنه ما من مدينة يهتم رجالها بالعالم الآخر أكثر من اهتمامهم بهذا العالم مثل الرياض ، وهم لا يعرفون العشاء المتأخر بل يأكلون الوجبة الأخيرة قبل الغروب بساعة ليكون لديهم الوقت الكافي للقراءة والعبادة قبل النوم .
وهذا هو البرنامج المعتاد حتى في بيت عبدالعزيز نفسه .

وكان الهدف من إنشاء دار التوحيد تخريج جيل عالم ليقوم بسد احتياجات الأمة
ولما أبرق إليه أولياء الأمور بإعفاء أولادهم من دار التوحيد قال ما معناه :
يا أشباه الرجال ولا رجال ، أنتم تريدون أن يكون أولادكم من الثيران والبهائم ونحن نريد أن يكونوا علماء أفاضل ينيرون السبيل ويفهمون أمر دينهم ودنياهم لا سبيل إلى الإعفاء .
ولقد عمل الملك عبد العزيز يرحمه الله على نشر الثقافة الإسلامية بين أبناء شعبه كما حرص على نشرها بين أبناء العالم الإسلامي، فقد أمر بطبع الكتب الدينية وتوزيعها على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مجانا طلبا لمرضاة الله ، فكان ما طبعه من هذه الكتب حوالي مائة ألف كتاب ، وقد طبع الكثير منها بلغات مختلفة كالإنجليزية والهندية والجاوية، كما طبع للقرآن الكريم كتب تفسير باللغة الإنجليزية وتم توزيعها في الهند وإندونيسيا والبلاد الأوروبية بالمجان .
ولقد سن الملك عبد العزيز يرحمه الله سنة حسنة بطباعة الكتب الدينية ونشرها بالمجان فسار على نهجه أبناؤه وكثير من العلماء والمؤلفين ومحبي الخير مما أدى لزيادة الكتب الدينية الموزعة بلا مقابل مما أثرى عملية الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية بين أبنائها .
وكان الملك عبد العزيز قد ختم القرآن وهو في الحادية عشرة .
وكان في مجلس الملك الليلي يقرأ له واحد من قرائه المشهورين مثل الشيخ عبد الرحمن القويز أو الشيخ عبد الله خياط حيث كان كثيرا ما يقول لهذا الأخير : اقرأ علينا وطول .
وكان الملك عبد العزيز حتى في أسفاره يتلو كتاب الله كثيرا ويسمعه من غيره :
فمن ذلك أنه كان رحمه الله وقت السحر عندما تستوي الرواحل للسفر ينادي (العجيري) فيردد الخدم النداء حتى يسمع المنادى فيقبل وإذ ذاك تسمع من الشيخ العجيري طائفة من الذكر الحكيم بصوته الجهوري بترتيل تكاد تعد منه حروفه وهو يلاحظ المعنى الذي تفيده الآية ويشعر به ، فإذا كان الكلام وعيدا رجف صوته ، وإذا كان وعدا برقت أسارير وجهه ، ويظل في تلاوته حتى يأتي وقت صلاة الفجر فيؤذن .
ثم ينادي رحمه الله بعد الصلاة (ابن الشيخ) فيجيب ويأخذ في تلاوة طائفة من القرآن بصوت يحدث في النفس كثيرا من الخشوع والخشية حتى يسفر .

ثم يعود القارئ لقراءته بعد صلاة المغرب فيقرأ جزءا آخر من حيث انتهى في الصباح .
أما في نزوله فكان رحمه الله يشق بصوته الرخيم الذي يختلج سكون المكان مع مافية من الرقة والعذوبة والخشوع في آن واحد ، وهو يقرأ القرآن كما هي عادته في كل صباح قبل طلوع الفجر ، وكان رحمه الله يتلو القرآن تلاوة يتخللها بكاء بخشوع عند قراءة آيات الترهيب خوفا من الله عز وجل ، فمما لا ريب فيه أنه ليس هناك إنسان يسمع هذا الصوت بخشوع وقلبه يشعر إلا وعينه تدمع لمجرد سماع هذه القراءة الصادرة من ثغر ملك عظيم ملأت عدالته جزيرة العرب من مشرقها إلى مغربها .

وعلاقة الملك عبد العزيز بكتاب الله علاقة قوية فهو لا يفارقه في حضر ولا سفر ومصحفه دوما على الطاولة التي أمامه .
وكان كثيراً ما يردد على ظهر المدمرة التي استقلها لمقابلة روزفلت قوله تعالى ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره..... يتفكرون ﴾
وقد اعتاد جلالته أن يقرأ القرآن في فجر كل يوم وفي أوقات الفراغ وكانت هذه الرحلات البحرية التي قضى فيها ليلتين على ظهر المدمرة فرصة لتلاوة جانب كبير من القرآن الكريم .
وكان التمكين للملك عبد العزيز نصرا مؤزازا لعلماء الحق والعقيدة السلفية ، واعتبر عهده رحمه الله عهدا ذهبا للعلم وأهله ، وبعد أن كان بعضهم يذوق الويلات بسبب منهجه القويم ، أصبح معززا مكرما لا ترد له كلمة ولايغلق دونه باب .
وكان لكبارهم هيبة في نفسه لا يصطنعها ولا يتعلمها ولا سيما آل الشيخ .
سمع مرة يقول : ما لقيت الشيخ يعني عبد الله بن عبد اللطيف إلا تصبب العرق من إبطي .
وكان لمجلس العلماء رهبة ووقار منقطعا النظير فإن أحدًا لا يستطيع أن يحيي الملك أو الحاضرين إذا كان أحد العلماء يقرأ أو يحدث ولا تدار القهوة إلا قبيل الدرس أما إذا بدأت الساعتان فلا قهوة للضيفان حتى يختم الملك مجلس العلم بقوله للقارئ أو المتحدث (بارك الله فيكم)
وأبصر الملك يوما عالما من العلماء بعيدا عنه وقد زاحم الناس في مقامه منه واضطر الرجل للزحمة أن ينأى عن الملك ومجلسه فغضب عبدالعزيز لذلك غضبا شديدا ونهر المزاحمين وبكتهم قائلا : ألا تعلمون أنه ليس منا من لم يوقر كبيرنا ...

ومن مظاهر احتفائه رحمه الله بالعلماء وتبجيله لهم أنه لما عرف مكانة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي من العلم أهدى له الهوية السعودية بأمر ملكي خاص ، ولم يكتف بذلك بل أمر بمنح التابعية لكل من يثق به وينتمي إليه مبالغة في إكرامه .

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله يقول :

اللهم إن كان قصدي إعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام والمسلمين فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر وإن كان قصدي خلاف ذلك فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل .

قال الدكتور محمد بن ناصر الشثري :

الملك عبد العزيز رحمه الله ، قام ببناء هذه الدولة الإسلامية لإعلاء كلمة الله ، حيث إنه رفع راية التوحيد ، وجند الجنود حولها ، وسار بهم لتطبيق شرع الله في البلاد ، وليس كما قال المستشرقون لاستعادة ملك آبائه وأجداده .

ويقول كشك :

بعد توقيع اتفاقية الطائف بين عبد العزيز وابن الوزير والتي أنهت حرب اليمن وأعادت الحديدة لليمن ، سمع بكاء خارج الخيمة الملكية فتساءل الملك : من هذا الذي يبكي ؟ قالوا : عبد الله فيلبي .. يبكي قائلا :

هل تتاح لأحد فرصة ضم اليمن ويتركها ؟ ضيعت ملك أجدادك يا عبد العزيز !!

فناداه الملك وقال له :

أولا : آبائي وأجدادي لم يملكوا اليمن ولا استطاع أحد أن يوفر الأمن والاستقرار فيها . فمن يحكم اليمن بزيودها ومشاكلها ؟ وسترى ما سيجري فيها .

ثانيا : إن حربي هذه لم تكن لضم اليمن بل لإنهاء المطالب والمشاكل اليمنية في عسير ونجران وجيزان وكل الأراضي السعودية التي لم تعترف بها اليمن وهذا ما حققناه.

وكان الملك عبد العزيز يرسل مع كل جيش عالما ويكون هذا العالم هو الموجه للجيش في جميع الأمور الشرعية وكانوا يعمرون مجالسهم وجميع أوقاتهم بدروس العلم والوعظ فيرجع الجنود بحصيلة دينية جيدة، وأيضا فإن جيش الملك عبد العزيز إذا فتح بلدا أزال عنها جميع ما فيها من شرك وبدع ومعاصي وجميع ما يخالف الدين وما زالت بحمد الله آثار هذه الجيوش على البلدان إلى يومنا هذا بإقامة الدين وترك ما يضاده ، ولا يقتصر دور العلماء عند هذا الحد ، بل كانوا يرسلون القواد يحثونهم على الثبات والصبر وامتثال أوامر الإمام ويحذرونهم من التنازع والتفرق.

وكان رحمه الله إذا ضبط جنديا يدخن منعه من الجهاد معه ، إلا إذا تاب وكسر السبيلة (الغليون)
قال يوسف ياسين :
سمعت الملك يقول غير مرة : إذا أراد المسلمون والعرب قتال أعدائهم فإن أعد المسلمون والعرب آلة واحدة من آلات الحرب أعد لهم أعداؤهم مئات وألوفا ، ولكن قوة واحدة إذا أعدها المسلمون والعرب لا يمكن أعداءهم أن يأتوهم بمثلها ، هي إيمانهم بالله وثقتهم به . هذه القوة لا قبل لأحد بها .
يقول التويجري :
كان الملك عبد العزيز- رحمه الله- زاهدا في سفك الدماء والبطش.....فقبل أن يدخلوا معركة من المعارك، مع مخالف له، يخطب في رجاله أن يتحاشوا سفك الدماء- ما أمكنهم ذلك- وأن لا يطلق سهم واحد على مقاتل أدبر وأعطى ظهره، وكذا أي أسير لا يجهز عليه في أسره إلى أن يأتي به إلى الملك عبد العزيز ، وإلا سوف يعاقب آسره وإن كان ابنه!!
وكان حريصا كل الحرص على محارم المسلمين ونسائهم غيورا علىالعرض ، لا يجرؤ جندي واحد مهما كان جاهلا وقليل حياء ودين أن يمس امرأة وإن كان قد هزم رجالها . هذه أخلاق وصفات عرف بها نقاء جيش الملك عبد العزيز . يأمنه خصمه ويثق بعفوه . لذلك ما أكثر من استسلم من خصومه له طوع اختيارهم.... فالملك عبد العزيز لم يبن هذه الدولة الحديثة ويستعدها بعد اليأس والقنوط بسفك الدماء والثارات ولكن بنتها أخلاقه وقيمه وتوفيق الله له .
وقد بكى السلطان عبد العزيز مما عمل في الطائف وحزن له حزنا شديدا وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنعه أي رجل من عمالي وقوادي . وواسى منكوبي الطائف بعد تسليم جدة .
وكانت نخوة الإخوان وأهل الهجر :
خيال التوحيد ، أهل التوحيد ، صبي التوحيد ، أخو من أطاع الله .
ويتنادون عند لقاء العدو : هبت هبوب الجنة ، وين أنت يا باغيها ؟ يا ويل عدوان الشريعة منا .
وكان الملك عبد العزيز يشاركهم في قولهم إخوان من أطاع الله .
وكان في غزوة من غزواته وما كاد ينتهي من المعركة منتصرا حتى دخل حجرة أعدت له وأخذ يصلي وغرق في صلاته فأسرع إليه رجاله يدعونه ليبايعه كبار أهل المدينة المغلوبة فألفوه غارقا في صلواته .
يقول التركي :

وعلاقات الملك عبد العزيز الخارجية تقوم على ما يسمى بالدبلوماسية الوقائية.
وقالت جريدة الإيفننج وورلد :
ابن السعود لا يحابي في دينه ولا يعرف فيه رحمة ولا هوادة.
وكان رحمه الله لا يبالي أحدا ولا دولة في سبيل الله لأن الإسلام كان عميق الجذور في نفسه ، واستكباره على الدنيا جعلها تصغر في عينيه فلا تفتنه فكان لا يداهن في دين الله مهما كان الأمر .
ولما مات الملك جورج الخامس نكست كل دول العالم أعلامها حدادا على وفاته وأبى الملك عبد العزيز ذلك ولم يجامل ولم يخف بل أعلن ذلك على رءوس الأشهاد .
وقبيل وفاته علم أن الخمر ترد إلى المملكة للسفراء والهيئات الدبلوماسية فتألم كثيرا فقد كان لا يعلم بذلك فأصدر أمرا بمنع ذلك وغضب السفراء والممثلون والقناصل واحتجوا فلم يبال وأطاع ربه وعصى من سواه وبقيت الخمرة ممنوعة .
وفي مواقف الملك عبد العزيز مع الكفار من الإنجليز والأمريكان ما يشهد له بالحنكة السياسية ، فقد كان يجيد حساب مواقع القوة والضعف ولا يدخل في مغامرات وهذا هو سر خلافه مع الإخوان فلم يغب عن عقله وهو يؤسس دولته الحديثة أن يحميها من الأغلاط والعثرات السياسية والمجازفات غير المحسوبة .
يقول جلال كشك :
كان يتمتع بصفتين نادرتين وضرورتين في بناة الدول ومحركي التاريخ . الأولى : هي القدرة على فهم حركة التاريخ ، ومن ثم ربط مصلحته بالقوى الصاعدة المنتصرة ، فيصبح شريكها في النصر ليس عميلا ولا أداة ، بل ويفرض على خصومه المحالفات الخاطئة ، مع القوى المنهارة فيسقطون معها . والميزة الثانية هي قدرة عجيبة على إقناع الآخرين بأن مصلحتهم هي في تبني مصلحته هو ، فيعملون على تحقيق أهداف عبد العزيز ، وهم على قناعة تامة ، بأنهم يحققون أهدافهم هم ! ثم موهبة شخصية ، أجمعت كل المصادر على تأكيدها ، وهي تمتعه بطاقة الشموس الكبيرة ، أعني القدرة على إدخال أي كائن يقترن منه في فلكه، ليتحول إلى كوكب يدور سعيدا حول ابن سعود أو كما قيل ، لم يجتمع أحد بابن سعود ، إلا وخرج مبهورا ، وبتعبير شيخ القبيلة : " قالوا عنك سحار يا عبد العزيز والله صح ! سحرتني يا عبدالعزيز".
ولا يجري وراء أوهام ، ولا يخطئ تقدير قوته ، ولا يحارب طواحين الهواء ، وليس في تاريخه مغامرة طائشة أو استجابة لإغراء غير

محسوب العوامل والنتائج . يعرف متى يتحدى ، وكيف يتراجع ، دون السقوط في مخاطرة لمجرد الشعار ، ودون أن يفرط في مبدأ أو حق من حقوقه الأساسية : " لا نتنازل عن شيء من حقوق أجدادنا . أما إذا قال الإنجليز نبغي هذا منك وجاؤوني بأمر محتوم ، فأنا ابن سعود ، أسلم لهم ، ولكن في أول فرصة أسعى لاسترجاع حقوقي المهضومة ." ولكنه أيضا يعرف متى يقول : " لو ملأت بريطانيا البحر بالبوارج من لندن إلى جدة فلن يتغير موقفي".
وكان الملك عبد العزيز معتزا بإسلامه أيما اعتزاز وكان يقول :
أنا مسلم أولاً وعربي ثانيا وأنا أبداً خادم الله.
وفي لقائه مع روزفلت تتجلى عزة المسلم الأبي فإذا به يقول للرئيس الأمريكي : لقد سعدت باستقبالكم الودي ولكن ليس لي أي مطلب أتقدم به وأنتم الذين رغبتم في رؤيتي ولهذا أفترض أن لديكم ما تقولونه لي !
وفي هذا يقول هاري هوبكنز : لا ريب أن الرئيس كان يجهل تماما حقيقة الرجل الذي دعاه لزيارته ! إنه ملك مهيب ذو سلطة كبيرة ، جندي بالفطرة وعربي صميم أولاً ، لقد طلب إليه الرئيس أن يوافق على مجيء مهاجرين جدد من اليهود إلى فلسطين فأصيب بصدمة عندما سمع ابن سعود يجيب : لا ... وأعلن الملك بصراحة أنه سيكون بصفته الدينية والسياسية في طليعة المحاربين إلى جانب إخوانه في فلسطين .
إن قضية الملك عبد العزيز الأولى هي قضية فلسطين وقد بدأت تستأثر باهتمامه أكثر فأكثر منذ سنة ١٩٣٦ م ومن مواقفه الحازمة تجاهها ما جاء في الوثائق البريطانية أن ابن سعود يخطط لمقاطعة بريطانيا وإرسال أسلحة للفلسطينيين إذا لم تصغ إلى مطالبه في فلسطين .
ومن أقواله المأثورة :
لو قلت لكم إن هناك ذرة واحدة في جسدي لا تدعوني إلى قتال اليهود لكنت أكذب ، لو ذهبت كل أملاكي وتوقف نسلي لهما أسهل علي من أن أرى موطئ قدم لليهود في فلسطين . وكان تعليق البعثة البريطانية في جدة على ذلك بأنه غدا أصوليا متشددا.
وقد رفض الملك عبد العزيز رحمه الله إجراء أي اتصالات مع وايزمان وقال : إنه عدو ديني ووطني .
ولما طلب منه روزفلت أن يكون أكثر تساهلا في السماح بهجرة اليهود لفلسطين بدعوى معاناتهم من الألمان رفض طلبه وقال له : أعطوا اليهود وأحفادهم من بيوت الألمان الذين اضطهودهم .

وكان رده على البعثة البريطانية الأمريكية عام ١٩٤٦ م عندما أثارت مسألة اليهود :
اليهود أعدائي أينما كانوا ، وفي كل بقعة دخلوها أدخلوا معهم فسادهم وعملوا ضد مصالحنا .
فوصفته تلك البعثة بالحدة والتهور .
وأعلن في استقباله لبعثة من الضباط الأمريكيين أنه فيما يتعلق بفلسطين فإن أمريكا وبريطانيا أمامهما حرية الاختيار بين عالم عربي هادئ ومسالم، أو دولة يهودية غارقة في الدم .
وقال لهم أيضا :
إن أمريكا إذا اختارت أن تمالئ اليهود الملعونين في القرآن إلى آخر الدنيا فستخسر صداقتها معنا وتندم على ذلك .
ولما لوح تشرشل له بأن بريطانيا أيدته في الأيام الصعبة وتطلب منه أن يساعدها في موضوع فلسطين كان رده رحمه الله إن مايطلبه عمل من أعمال الخيانة لرسول الله ﷺ ولكل المسلمين وأنه لو فعل ذلك لضيع شرفه ودمر روحه وأنه لايوافق على تنازل للصهيونيين فضلا عن أن يقنع به .
وقال أيضا :
أما الشخص الذي هو حاييم وايزمن فهذا الشخص بيني وبينه عداوة خاصة، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إلي من دون جميع العرب والإسلام تكليفا دنيئا لأكون خائنا لديني وبلادي . الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه، وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من الحرب إذ أرسل إلي شخصا أوربيا معروفا يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ويسلم إلي عشرين مليون جنيه مقابل ذلك، وأن يكون المبلغ مكفولا من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه ! فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه ؟.. وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف، ويجعل فخامة الرئيس كفيلا لمثل هذا العمل الوضيع ؟.
قال غلام رسول مهر :
وكان سردار كل محمد خان السفير الأفغاني السابق قد قدم للحج هذا العام ... وكان السفير قد التقى بالسلطان المعظم فسأله السلطان عن أحوال محمد نادر شاه غازي وأحوال أفغانستان ثم قال : إنني أرى أن الانضواء مجاهدا مسلما يحارب من أجل الإسلام تحت راية يرفعها نادر شاه غازي مبعث فخر لي.

ومن قناعات الملك عبد العزيز أنه لا أهل له غير العرب والمسلمين ، ولا وطن له إلا وطنهم ، ولا عز إلا بعزهم ولا حرية إلا بحريتهم .
ولم ينشغل الملك عبد العزيز- طيب الله ثراه - عن مشاكل المسلمين وقضاياهم بل كانت شغله الشاغل وهو يقيم هذا الصرح الكبيركما ظلت أسلوبا يميز حكمه . كيف لا ؟ وهو قد أقام دولته على أساس تعاليم الإسلام التي تأمر بالتعاون بين المسلمين، والتراحم بينهم، والسعي لتفريج الكرب عن المكروبين منهم .
وقال الشيخ محمد رشيد رضا عن المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الملك عبد العزيز رحمه الله :
ثم ألف فيه (أي في الحجاز) المؤتمر الإسلامي العام ، وقد كان هذا المؤتمر أهم مقاصد جمعيتنا هذه، فلم نحتج إلى استيكاف الأكف لجمع المال له، ولا لدعوة رجال الخافقين إليه، فقد أنفق هو بسخائه وجوده الواسع على إنشاء المؤتمر وضيافة رجاله، هم ومن كان مع بعضهم من أهل وخدم منذ وصلوا إلى الحجاز إلى أن خرجوا منه ما لم يكن تيسر لنا جمع بعضه من العالم الإسلامي إلا في عدة سنين .
وقال أيضا الشيخ محمد رشيد رضا :
كيف لا أنصر ابن السعود وأناضل خصومه من المبتدعين والخرافيين وقد فعل كل هذا، ويرجى أن يفعل ما هو أتم منه وأكمل ؟ وهو ما أفنيت شبابي وكهولتي في الدعوة إليه، فإنني أدعو إلى مؤتمر إسلامي يعقد في مكة من زهاء ثلاثين سنة، وهو من وسائل الإصلاح الذي أدعو إليه من التوحيد وإقامة السنن، وتقويض هياكل الوثنية والبدع، وتجديد إصلاح الإسلام ومجد العرب .
وقال الزركلي : لم تقم حركة وطنية في بلد عربي إلا شد أزرها .
وقال المصمودي وهو من كبار أعوان بورقيبة أيام رفعهم راية الجهاد :
إن كل من قابلناه من الزعماء كان يفت عضدنا ويخذلنا تخذيلا إلا الملك عبد العزيز رحمه الله فقد شجعنا وأمدنا بآرائه وتجاربه ودهائه في السياسة والحرب ودفع لزعيمنا المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة عشرة آلاف جنيه ذهبي للحركة الثورية التونسية التي حمل لواءها الرئيس بورقيبة .
قال أحمد عبد الغفور عطار :

قال لي بورقيبة نفسه عندما دعاني إلى بيته المتواضع سنة ١٣٨١هـ :
جئت إلى عبد العزيز مشردا منفيا فوجدت لديه ما لم أجد لدى أحد؛ أخوة صادقة وفضل وكرم وعون جميل وتشجيع يفوق الوصف وجدني مشردا فآواني ونصرني وأضافني وأشعل ضرام الأمل والعزيمة في نفسي بما لقيت منه من العون المادي والأدبي.
أما حركة الإسلام في كل أقطار الدنيا فالفضل فيها لله ثم لعبد العزيز كان يمدها بماله ورأيه حتى نجحت كل الحركات الإسلامية في آسيا وأفريقية بل أعان حركة الإسلام في أوربا وأمريكا حتى نجحت هي أيضا .
ومن كلامه رحمه الله :
ويجب علينا معشر المسلمين من عربي وعجمي أن نتمسك بعبادة الله وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى..
وقد أعز الله الإسلام بسلمان الفارسي وبلال ، وأذل الشرك بأبي جهل وأبي لهب، ولم تنفع هؤلاء قرابتهم من رسول الله ﷺ ولا عمومتهم وذهبوا إلى النار، وهذا فخر للإسلام لأنه لا يبالي بالأحساب والأنساب .
ولقد كان للمنافقين دور كبير في إشاعة الشائعات عن الملك عبد العزيز ودعوته السلفية وأكثروا من الإرجاف حوله وهم مع الأسف من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ولكن يأبى الله إلا أن يعز من نصره ويخذل من عاداه.
واعترض بعض المحافظين المتشددين وأنكروا على جلالته استماعه للراديو واستعانته باللاسلكي والهاتف لأنهم يظنون أن بها شياطين تنقل الحديث فسألهم جلالته يومذاك : هل الشيطان يطيق كلام الله ؟ فأجابوا بالنفي . قال : اسمعوا ... فإذا المذياع يذاع منه القرآن الكريم بصوت عذب رخيم تعد حروفه وأمر أحد أتباعه بأن يسمع المعترضين في الهاتف بعض آي الذكر الحكيم فدهشوا وأيقنوا أنه لا شيطان ولا سحر .
ومكث رحمه الله يجاهد ويجالد في سبيل التلفون والتلغراف واللاسلكي عشر سنوات وقد ذكر الشيخ حافظ وهبة قصة في التلغراف مع أحد المشايخ كان يظن أنه يذبح للجن ذبائح حتى تعمل .
وقد قامت بسبب ذلك التطرف حرب فكرية وعسكرية بين الملك عبدالعزيز رحمه الله وبين أنصاف المتعلمين والجهلة من الإخوان .
يقول قلبي :

إن أول سيارة دخلت الحوطة (حوطة بني تميم) قد أحرقت علنا، في السوق العام ، وكاد سائقها يلقى مصيرها أيضا ! وما حدث للسيارة ، حدث للتلغراف، وللهاتف وللدراجة النارية . على أن هناك ما لا ينبغي إغفاله ، وهو أن الملك عبد العزيز كان يعلم أن المرء عدو ما جهل ويعلم أن أكثر من عارضوه في استخدام الآلات الحديثة إنما كانوا يصدرون عن نية حسنة ، ويعلم أن هؤلاء ذوي النيات الحسنة خاصة ، لم تكن معارضتهم لرغبة في الشغب أو لعرقلة تقدمه الاجتماعي والنظامي بالدولة ، بل يعارضون لأن الواجب دينا ، ولأن من مقتضيات الإخلاص للإمام ، أن ينصحوه فيما يعن لهم أنه انحرف فيه عن نهج السداد .
قال كشك :
وقد عثرنا علي تقرير أمريكي يروي قصة جديرة بأن تروى عن الجمع بين العدل وهيبة الملك . وفن كسب المعارضين .
فقد زعم التقرير أن أحد المشايخ وكان واعظا في الخرج ، خطب يحرض ضد الملك الذي كان قد استقدم خبراء أمريكيين لتطوير الزراعة في المنطقة وهذا هو الهم الدائم لعبد العزيز من أيام محمد أسد فلما تفجر النفط لم ينس الملك الزراعة، بل حاول أن يوظف مال النفط في الزراعة ، ولكن الشيخ رأى الأمريكيين يسقون ويزرعون ، فهب يحرض ضد الملك (الذي خان الأمانة وباع الوطن للأجنبي ، وقد رأيت بعيني الأمريكان يستولون على الأرض ويزرعونها في الخرج ويسخرون العمال السعوديين ويشقون الطرق ، ويستعملون الماء النفيس كما يحلو لهم .. فهل من حق الملك أن يبيع بلادنا وميراث أجدادنا للمشركين؟) .
ويمضي التقرير : وهنا أرسل الملك يطلب إحضار الشيخ في سيارة خاصة، ولكن الأمر لم ينفذ فأرسلوا له سيارة نقل ، وقد رفض الشيخ أن يركبها مصرا على أن يعامل باحترام . فاستجاب الملك وأرسل له السيارة الخاصة وعندما جاء الشيخ استقبله الملك محاطا بالأمراء ورجال البلاط والمستشارين والحرس والعلماء .
وهنا قال الملك : إذا كان لديك ما تعترض عليه فقله علانية ، لأن الإسلام يطلب مواجهة الحاكم لا توجيه الاتهامات من خلف ظهره . ووقف الشيخ في مواجهة هذا الحشد الملكي وقال : إن الملك يبيع البلاد والناس للكفار ، وهذا يخالف التزماته كحاكم مسلم وحامي الحرمين والمشاعر .
وقد تركه الملك يتكلم بدون أن يقاطعه ، فلما سكت كرر عليه الملك السؤال : هل قلت كل ما عندك ؟ فأجاب بالإيجاب .

عندها نزل الملك عن العرش وتقدم فوقف إلى جانبه قائلا : أنا لست الآن إلا مجرد مسلم أطلب أن يحكم بيننا بالشرع ، أنا عبد العزيز أطلب من القضاة والعلماء أن يفصلوا فيما بيننا .
ثم التفت للعلماء وقال : أفتوني .. هل استخدم النبي ﷺ غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين ؟ ثم استعرض الملك الحالات التي وردت في السيرة .
فرد العلماء بالإجماع .. إن الملك صادق فيما قال .. فعاد الملك يسأل: فهل خرجت أنا على الشرع .. إذا تبعت سنة رسول الله ﷺ واستخدمت خبراء أجانب للعمل لحسابي تحت توجيهاتي لزيادة موارد البلاد ، ويستخرجون لصالحنا المعادن والنفط والماء وما سخره الله من خير لبلادنا .
فرد العلماء أنه لم يخطئ .
هنا انتهى دور العدل وحكم القضاء بتجني الشيخ ، وجاء دور هيبة الملك ونستمر في النقل من التقرير الأمريكي :
هنا اعتلى الملك العرش واسترجع لقب الملك وسأل الشيخ هل رضيت ؟
قال الشيخ : إنه يطيع قرار العلماء ولكن (لم يطمئن قلبي !)
قال الملك : لقد احتكمت للشرع وقرر علماء الشرع أنني على حق وأنت المخطئ .. فإذا لم تعتذر خلال ٢٤ ساعة فسأقطع عنقك . وأخذ الشيخ تحت الحراسة وانفض المجلس .
وبعد أن أعطى الدرس علنا ، عرفنا أن الملك استدعى الشيخ إلى مجلسه الخاص ، وتحدث معه متلطفا وشرح له أن مسلكه يسيء إلى دينهما ودنياهما . وأغدق عليه الهدايا وبعثه مكرما معززا إلى منزله .
قال كشك : هذا والله هو الملك ؛ سيف المعز وعدل عمر وذهب الرشيد.
وقد وصل الأمر بالمتطرفين السابق ذكرهم إلى الخروج على الإمام وقتل بعض المسلمين مما اضطر الملك عبد العزيز إلى قمعهم بالقوة بعد أن أعيته الأساليب السلمية وإن كان كارها لذلك .
يقول الشيخ محمد رشيد رضا :
وكان قد حدث في أحد الأعوام نزعة ثورة بدوية عصبية في نجد، كانت قد طال على تمخض البلاد بها العهد، وكان آخر ما عرفه العالم المدني من طغيان زعمائها غزوهم للكويت، وأطارف العراق، بدون إذن ولا رضى من ملك البلاد، لجريانهم على ما اعتاده جفاة

الأعراب أمثالهم من الغزو ، لأنه أقرب السبل عندهم للكسب، وقد يكون أحيانا للتلذذ بالقتل والسلب .
ولكن الإمام عبد العزيز المجدد، قد ساسهم سياسة إسلامية حضرية، أبطل بها البداوة وتقاليدها، ووضع تحت قدميه ما وضعه النبيﷺ تحت قدميه من دماء الجاهلية وثاراتها ، وجعل الحكم لشرع الله في كل تنازع وتشاجر، عملا بقوله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فحسنت الأحوال، وراجت الأعمال، بعد أن عم الأمان، وبطل البغي والعدوان، على غلو في الدين بقي عند كثير من (الإخوان) كانوا به شبهة أو حجة لمن يطعنون في الوهابية، ويذهبون إلى أنهم فرقة غير الحنابلة السلفية .
وقد ظهر من شذوذ هؤلاء الغلاة ما ظهر من القسوة في غزوة الطائف، أخذا بثأر من قتلهم الشريف عبد الله بن الحسين منهم في الخرمة ، لما هجم عليهم في المسجد، فقد جروا في ذلك على عرف البدو في غزوهم ، لا على عرف الوهابيين الذين يجرون في قتالهم على أحكام الشرع ، كما شهد لهم بعض أهل البصيرة ممن قاتلهم في الحملة المصرية التي ساقها إليهم محمد علي باشا، بأمر الدولة التركية، ونقله المؤرخ الصادق الجبرتي .
ولقد ساء عملهم هذا الإمام عبد العزيز، وإن قابله كعادته بالحلم ، والمطاولة في تربيتهم بأحكام الشرع، ولكنهم زادوا إسرافا وغلوا بتعرضهم لما لا يعنيهم من إدارة الحجاز الداخلية، وتحريمهم لما أحل الله تعالى من المنافع الآلية والصناعية، بل لما يعد بعضه أو كله من فروض الكفاية في هذا العصر، كآلات المواصلات، والمخاطبات، التي تشتد الحاجة إليها في أوقات الحرب. وغير ذلك مما هو من خصائص ولي الأمر، وهذا التحريم شرع لم يأذن به الله ، وكذب وافتراء على الله، فهو كفر وشرك بنص القرآن، أشد مما يرمون به من لا يعرفون من الناس بحق، أو بغير حق لأن الشرك بالتشريع ضرره متعد ، يعم كثيرا من الناس، والشرك بدعاء غير الله مثلا ضرره قاصر على فاعله .
ثم افتات بعضهم على الإمام في الإغارات المعروفة على العراق والكويت، فانتهى الحلم الواسع بالإمام عبد العزيز أن جمع جميع من في بلاد نجد، من أهل الحل والعقد ، من العلماء والقواد والزعماء وجماهير الوجهاء، وألف منهم مؤتمر الرياض المشهور وعرض عليه تنصله من حكم البلاد، وأن يختار لها غيره.. فكبر ذلك عليهم، وجددوا مبايعته، وكاشفوه بما لايرضيهم من حكومته،

وكونه لايبيح لهم نزع من خرج عن طاعته، كمسألة الحدود بين نجد والعراق، وما أحدثته حكومة العراق هنالك من المخافر العسكرية الضارة بهم، وهو أهم ما يهمهم وغير ذلك مما فصلناه في غير هذا الموضع .
ولكن كل ذلك لم يرجع أولئك الغلاة عن غيهم وجهلهم، ومنهم الفرقة المشهورة بالغطغط الذين كانوا يؤذون بعض الحجاج وينبزونهم بلقب المشرك، وروي أنهم كانوا يضربون الذين يشربون الدخان، وهذا افتئات على الإمام وولي الأمر، زائد على المشروع من إنكار المنكر، فلكل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بما يعلمه، ولكن العقاب خاص بالسلطان ونوابه بغير خلاف، وبهذا كانوا سبب تجديد الطعن في الوهابية، بعد أن ظهر لحجاج العالم فضل الإمام ابن سعود في العدل والأمن العام، وقد دعوا إلى تحكيم علماء الشرع فيما ينكرونه، فلم يقبلوا، فاضطر الإمام إلى تأديبهم بالسيف، ففعل وكان موفقا منصورا.
وكان عهد الملك عبد العزيز بعثا للأمل في نفوس المسلمين لنشر دين الإسلام بعد أن أطبق الظلام على ربوع المعمورة
قال أحمد الإمام الرفاعي العنداني في كتابه سؤدد الإسلام بعد أن شكا غربة الإسلام وانتشار الفسق والفساد :
قلت مهلا يا دين رسول الله وها أني قد أتيتك بشيرا بزمرة من المسلمين تود حياتك وتبيع أموالها وأنفسها فداءك ألا وهي الحكومة السعودية العربية التي شهد بفضلها أهل الأرض والسماء وهي الآن في البلاد الحجازية المقدسة وقد قام على رأس هذه الحكومة السعيدة الزعيم الأوحد الفذ المخلص المفرد من عرف بدينه ونزاهته وأطبقت الأمة على الإسلامية على عقله ودرايته ألا وهو السلطان الجليل والملك النبيل عبدالعزيز آل السعود أمد الله بطول حياته عرف المكامن التي يهاجم منها المسلمون فباشر في سدها عنه . ولم يجد بدا من الرجوع إلى الدين المحمدي الحنيف فقام عملا بقوله تعالى﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ وهو أمده الله يتابع القول بالعمل وأراد إحياء هذه الأمة المحمدية عملا بقوله تعالى :﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ فعلى كل حكومة إسلامية في جميع أقطار الأرض أن تسير على سيره الذي سار عليه لأن العمل بشرعة الإسلام راحة وحياة لجميع الأمم والطوائف ، فعلى من كان مسلما حقيقيا أن يجعل هدفه الأسمى توحيد الإسلام واتباع سيد الأنام وتعظيم هذا

الملك الجليل لأنه أوجد الشريعة والأمانة في قبلة المسلمين وحفظها من جميع الأدران ونوايا الأمم الغربية.
وكان الملك عبد العزيز رحمه الله لا يخلو مجلس من مجالسه من النصيحة للمسلمين عامة والعرب خاصة وكثيرا ما كان يردد في معظم مجالسه ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ ، ﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾
يقول الشيخ حافظ وهبة :
وكان يتدفق كالسيل إذا خطب ، ويخطب الساعات الطوال مرتجلا إذا أثير ، ويميل في خطبه وأحاديثه إلى تعزيزها بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة فتزيدها روعة وقوة ، ويغلب عليها النصح والإرشاد والحث على الطاعات والتمسك بأهداب الدين ، فخطبه وتصريحاته ونصائحه وإرشاداته وحكمه ليس بالإمكان استيعابها ولا يمكن حصرها في كتاب .
ويعدد الشيخ محمد حامد الفقي بعض أوصافه فيقول :
لسان فصيح، ومنطق قوي ، وقول سديد ، وحكم رائعة ، وبلاغة تفحم السامع ، وتقوده بخيط من الحرير فإذا هو طوع هذا الخطيب العظيم ، ويد سخية لا تعرف للمال قيمة إلا ادخار المثوبة عند الله ، ثم امتلاك أعناق الرجال ، وقلوبهم ، فهو لا يعرف لا ولا يخطر في باله أن يقولها لأي سائل ، ولا أن يرد بها على أي مسترفد فضله ، أو مجتد من كرمه، اللهم إلا فيما ينال من كرامة دينه ، أو ملكه أو نفسه .
والمتتبع لخطب الملك عبد العزيز يلاحظ أنها تتضمن ما يأتي :
سهولة الألفاظ
الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية
ملامسة عقول الناس وعواطفهم ومشكلاتهم
يتخللها الوعظ
ربط الحاضر بالماضي والاستفادة منه للانطلاق في المستقبل
تخير المناسبات
تقوم الخطب على أساس دعوي حيث تضمن معظمها المضي على :
التوحيد الخالص
التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ
نبذ البدع والخرافات
الالتزام بآداب الشريعة السمحة
إخلاص النية في الأعمال كلها
توثيق عرى المودة والألفة بين المسلمين .

ويقول الشيخ محمد سرور الصبان متحدثا عن فقهه رحمه الله في الدعوة:
أمرني الملك عبد العزيز يوما أن أكتب ما يمليه علي ، فصرت أكتب ما يمليه بلغة مصححة ولما أكمل الإملاء قال لي : اقرأ ما كتبت فقرأته عليه فضحك وقال : إنني أعرف أنك متعلم ، تحسن الكتابة بالعربية الصحيحة ولكني أخاطب بهذه الكتابة أبناء البادية الذين يفهمونها فقلت : سمعا وطاعة وعدلت ما كتبت ، فأعجبه ، وأمر بصدوره .
ومن الوسائل الدعوية في عهده رحمه الله الإذاعة التي كانت موظفة في خدمة الدعوة إلى الله .
نص التمهيد للسياسة الإعلامية بالمملكة على أنها تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وشريعة وتهدف إلى ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في نفوس الناس والنهوض بالمستوى الفكري والوجداني للمواطنين وإلى معالجة المشكلات الاجتماعية وغيرها وإلى تعميق مفهوم الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر والحض على احترام النظام وتنفيذه عن قناعة
وتنص المادة الأولى على أن يلتزم الإعلام السعودي بالإسلام في كل ما يصدر منه ويحافظ على عقيدة سلف هذه الأمة ويستبعد من وسائله جميعها كل ما يناقض شريعة الله التي شرعها للناس .
وتنص المادة الثانية والعشرون على أن يؤكد الإعلام السعودي أن الدعوة إلى الله بين المسلمين وغيرهم قائمة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولذلك فهو يقوم بنصيبه في أداء هذا الواجب الجليل سالكا في دعوته إلى الله سبيل الحكمة والموعظة الحسنة معتمدا على مخاطبة الفكر ومبتعدا عن كل ما من شأنه أن يثير حفائظ الآخرين .
وعلى الرغم من محاولة البعض إدخال بعض الأناشيد الدينية والأغاني الشعبية في الإذاعة إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل ليقظة المسؤولين فقد كانت الإذاعة تحمل اسم مكة المكرمة آنذاك فكيف يرتبط هذا الاسم بالموسيقا والغناء وفيها ما يخالف تعاليم الإسلام .
ومما يذكر للملك عبد العزيز في الوقت نفسه حكمته في منع الكتب والنشرات والتصاوير المخلة بالأخلاق والعقائد من دخولها إلى بلاده وقد بلغ من زيادة حرصه على أخلاق شعبه أنه كان قد أمر بوضع قانون للجمارك يمنع بموجبه استيراد كافة أدوات

الملاعب والملاهي مثل النرد والورق وما أشبه ذلك من الأشياء التي تلهي الناس عن واجباتهم وتضيع عليهم أوقاتهم .
وقد عرض أمام الملك عبد العزيز وهو على المدمرة الأمريكية شريط تسجيلي عن حاملة طائرات وقد أبدى إعجابه بالشريط ثم أردف قائلا: أشك في أنه من الخير أن يكون لقومي مثل هذه الأشرطة البديعة لأن ذلك قد يقوي شهوتهم للاستمتاع الذي قد يصرفهم عن واجباتهم الدينية .
وقال بوش رئيس تحرير مجلة لايف في المجلة :
فالمملكة على سبيل المثال لا تسمح بوجود دور سينما على أراضيها .
يقول الشيخ محمد حامد الفقي في خاتمة طبع كتاب القول الفصل النفيس المطبوع على نفقة الأمير سعود واصفا والده بقوله :
.....ذلك هو الإمام المجاهد البائع نفسه وماله لله ولدين الله ولإعلاء كلمة الله الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أيد الله دولته وأعلى في الخافقين كلمته ، فإنه بسعيه المشكور وعمله المبرور قد أعاد للتوحيد جدته بما بذل من الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال في قمع البدع الخرافية ونصر ونشر السنن النبوية وقد تعدى سعيه المشكور حدود الجزيرة وذهب مشرقا ومغربا مع هذه الكتب السلفية النافعة التي طبعها ونشرها في الناس فكان لها بحمد الله أعظم الأثر في جلاء وجه الإسلام وتنقية عقائده إبرازها للناس بيضاء صافية كما جاء بها رسول الله ﷺ وعلى ما هدى الله السلف الصالح بها فأخرجهم من الظلمات إلى النور وهداهم بها إلى أقوم الطريق وأسعد العيش وأهنأ الحياة في الدنيا والآخرة .
وقد ارتبطت حركة إحياء التراث في الجزيرة العربية في العصر الحديث باسم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي اهتم برعاية العلم والمعرفة منذ بداية حياته، على الرغم من انشغاله بالجوانب السياسية والعسكرية التي تتطلبها ظروف تأسيس أي دولة جديدة.
ومن جهود الملك عبد العزيز في إحياء التراث السلفي ونشر المعرفة الدينية الصحيحة ، قيامه بطبع عدد من المصادر الإسلامية المعروفة على نفقته الخاصة، وتوزيعها على المسلمين في الجزيرة العربية بصفة خاصة وأنحاء العالم العربي والإسلامي بصفة عامة. وتبلورت هذه الجهود والإنجازات في حركة علمية فريدة في الجزيرة العربية صاغها الملك عبد العزيز بأياديه

البيضاء على العلم والعلماء، وخاض بها معركة حضارية على ساحة الفكر والمعرفة في أنحاء العالم العربي والإسلامي في زمن كاد يشهد اختفاء الاهتمام بالتراث الإسلامي الأصيل والعناية به ، نتيجة لظهور تحديات فكرية جديدة على المنطقة .
وباستعراض مجموعة من المؤلفات التي طبعت على نفقة الملك عبد العزيز خلال حياته تتضح لنا السمات الآتية :
أولا : تركيز هذه المؤلفات على كتب أعلام السلف مثل ابن حنبل وابن قدامة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم .
ثانيا: تنوع موضوعاتها حيث تشمل العقيدة والتفسير والفقه واللغة العربية وآدابها والتاريخ الإسلامي والجغرافيا والأنساب وغيرها .
ثالثا: نشر كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته بهدف نشر حقيقة دعوة الشيخ والرد على أصحاب الأقاويل المعادية لها.
رابعا : تعدد المطابع التي طبعت فيها تلك المؤلفات .
ووصل عدد تلك الكتب إلى أكثر من ستين كتابا لانطيل بذكرها .
وطبعت على نفقته كتب كثيرة في الهند ومصر ولم يذكر اسمه عليها كلها وجاء على بعض مطبوعاته في الهند أنها "طبعت على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب " .
ويقول الزركلي :
ولدينا عشرات من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب، القديمة والحديثة، أمر بشراء مجموعات منها، كبيرة وصغيرة، لتوزيعها مجانا .
ومن تشجيع جلالة الملك عبد العزيز للعلم ونشر المعرفة دفع الكثير من التجار والمهتمين إلى طباعة بعض الكتب خصوصا تلك التي ترد على المخالفين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
ومن جوانب رعاية جلالته للعلم والمعرفة تشجيع أبنائه على نشر الكتب الشرعية، وتقديم كل الدعم اللازم من أجل ذلك.
ومما قاله الملك عبد العزيز رحمه الله وجعله عهدا على نفسه منذ اللحظة الأولى :
وعلي جعل الحكم في هذه الديار بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لا يد طائلة عليكم اليوم فكتاب الله فوق الجميع فالواجب عليكم هو معرفة الله تعالى والتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وترك البدع والخرافات والتأدب بآداب الشريعة السمحاء وتوثيق عرى الألفة وأواصر النصيحة والإخلاص .....
ويقول :
إننا لا نقبل امتيازا لأحد دون أحد بل جميع الوافدين لهذه البلاد يجب أن يخضعوا للشريعة الإسلامية .

ولما طلبت هيئة الأمم المتحدة من الحكومات الأعضاء موافاتها بنسخ من دساتير بلادها أمر رحمه الله حكومته بأن تبعث بنسخة من القرآن الكريم وأن تكتب لها بأن القرآن هو دستورها الوحيد وأن أحكامه نافذة في كل أرجاء البلاد .

ولم يصغ الملك عبد العزيز للحملات التشكيكية في قدرة الشريعة على مواكبة الحضارة لأنه يؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاما للحياة وأن التمسك بالإسلام يعصم من الضلال فسارع إلى إنفاذ الشريعة وتطبيق أحكامها ولم يتعلل بعدم وجود فقه تفصيلي ، ولم يخف من نتائج تطبيق الشريعة لأنه لا يخاف هذه النتائج إلا من نوى الظلم والفساد في الأرض والملك عبد العزيز رجل عرف من سيرته أنه محب للعدل مقيم له كاره للفساد مقاوم له فلم يبتدع نظاما ولم يشرع قانونا بل ما عمله في هذا السبيل هو أنه أحيا سنة القرآن الكريم وأيقظ في النفوس وازع الإيمان ففجر فيها القوة في التضحية والانضباط في التزام ما شرع الله لعباده.

وكان من أبرز معالم الإنجاز خلال هذه المرحلة :

هو إلغاء كافة النظم والقوانين التي كانت سائدة في الحجاز ، ولا تتفق مع الشريعة الإسلامية وكذلك ألغي نظام المحاكمات العرفية العشائرية والقبلية والتي كان يعمل بها لدى أكثر سكان البادية وأحل محلها الأحكام الشرعية كخطوة أولى نحو التقارب ولتتلاءم مع الحكم الجديد، وشخصية الحاكم الذي آل إليه أمر السلطة .

ومن مواقفه الفقهية القضائية أنه كان بصدد حكم بإعدام جندي ضبط زوجته مع جندي آخر فقتلها ولم يحسن الدفاع عن نفسه فقام بذلك الملك عبد العزيز ونقض حكم الإعدام مستشهدا بحديث سعد بن عبادة الذي يقول فيه الرسول ﷺ : "اسمعوا إلى ما يقول سيدكم إنه لغيور وأنا أغير منه والله أغير مني" .

يقول الريحاني :

من يدخن يبسط (أي يجلد) وكذلك من لا يصلي أما أحكام الشرع فمعروفة إلا أنها تنفذ في نجد بلا تردد ولا محاباة ولا مرافعات ....حكم ابن سعود لا يعرف في سبيل العدل كبيرا أو غنيا .

ومن مواقف متابعته للقضاء وحرصه رحمه الله على نزاهته :

قال الشيخ عبد الحميد الخطيب :

- نمي إلى مسامع جلالته أن تلاعبا حصل في كتابة عقد من العقود في المحكمة الشرعية الكبرى وصودق على ذلك العقد ، فما كان منه إلا أن بعث خدمه إلى المحكمة الشرعية وأحضر ما

هـو فـي متنـاول أيـدي القضـاة مـن دفـاتر وحقـق أمامـه موضـوع التلاعـب حتـى أيقـن بـه فـأمر بعـزل جميـع مـوظفي المحكمـة واستبدالهم بغيرهم ، ولم يكتف بذلك بل عزل معهم رئيس القضاة إذ ذاك سماحة الشيخ عبد الله بن بليهد مع أنه من كبار علماء نجد المعروفين بالتقى والصلاح وبسعة الاطلاع وغزارة العلم، وكان يجهل ذلك التلاعب ولا ضلع له به .

- وقفت ذات يوم امرأة مسنة على باب قصر جلالة الملك تشكو إليه أمرا في ميراث لها وقالت : ليس لي من يدافع عن حقوقي ، فناداها وأخذ ما بيدها من الأوراق ووعدها بأنه سيكون وكيلا عنها في الدفاع، وبالفعل نظر في الحجج التي بيدها وأرسل القضية للمحكمة الشرعية وأخذ يسأل كل يوم عن القضية وماقررت المحكمة في شأنها ثم أبلغ المرأة الحكم وأمر بإنفاذه .

فقضى بهذا رحمه الله على الجريمة وأسبابها ونشر الطمأنينة ووضع النواة الأولى لمجتمع إنساني جديد قاده بحركة إصلاح كبيرة وشاملة ولا شك أن عملية التطبيق كانت أمرا في غاية الصعوبة تطلبت من الملك عبد العزيز في كل مرحلة من مراحل كفاحه - في توحيد المملكة - جهودا كبيرا لتدعيم القوة والسلطان لتنفيذ هذه الأحكام ، ومعلوم أن هذه الحدود لا تكتسب هيبتها ولا تبلغ الغاية المرجوة منها إلا إذا طبقت على جميع المخاطبين بأحكامها بغض النظر عن مراكزهم وأوضاعهم من حيث الجاه والسلطة والنفوذ أو من حيث الغنى والفقر أو غير ذلك من المعايير والمقاييس التي يتفاوت فيها البشر .

وقد حكم الشيخ سعد بن عتيق ضد الملك عبد العزيز في خصومة بينه وبين رجل على قطعة أرض فبكى الملك عندما سمع الحكم وقال : الحمد لله الذي جعل عندنا من القضاة من لم تأخذه في الحق لومة لائم ، نحن بخير ما دام هؤلاء العلماء موجودين .

ولعل في الطريقة التي تنفذ بها الحدود والقصاص في البلاد ما يؤدي إلى إحداث أكبر قدر من الزجر والعظة والاعتبار ، فقد جرت العادة على أن تتم إقامة الحدود بعد صلاة الجمعة مباشرة وفي ساحة عامة أمام أكبر المساجد في البلد .

وعندما أبرم قرار ولاية العهد للأمير سعود أبرق على الأثر إليه برقية جاء فيها ما نصه الحرفي :

تفهم أننا نحن والناس جميعا ، ما نعز أحدا ولا نذل أحدا ، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى ، ومن التجأ إليه نجا ، ومن اغتر بغيره - عياذا بالله - وقع وهلك . موقفك اليوم غير موقفك بالأمس ، وينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور :

أولا :
نية صالحة ، وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد ، ونصر دين الله . وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتا خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك . تعبد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة . وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر ، وصدق في العزيمة ، ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق ، وإلا العمل الخفي الذي بين المرء وربه .
ثانيا :
عليك أن تجد وتجتهد في النظر في شئون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سرا وعلانية والعدل في المحب والمبغض ، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل ، والقيام بخدمتها باطنا وظاهرا . وينبغي أن لا تأخذك في الله لومة لائم .
ثالثا :
عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة ، وفي أمر أسرتك خاصة. اجعل كبيرهم والدا ومتوسطهم أخا وصغيرهم ولدا ، وهن نفسك لرضاهم وامح زلتهم وأقل عثرتهم ، وانصح لهم ، واقض لوازمهم بقدر إمكانك.
فإذا فهمت وصيتي هذه ، ولازمت الصدق والإخلاص في العمل ، فأبشر بالخير .
أوصيك بعلماء المسلمين خيرا . احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم . واحرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة . احفظ الله يحفظك .
هذه مقدمة نصيحتي إليك ، والباقي يصلك إن شاء الله في غير هذه.
وقال يوسف ياسين :
سمعت الملك يوما يحدث ولي عهده قبل أخذ البيعة له بولاية العهد : يا سعود ربي أحب إلي من نفسي ، وعلي مراعاته ولا تطمئن نفسي لتسليمك ولاية الأمر ، إلا بعد أرى أنك عقدت عقدا بينك وبين ربك. لا تكفيني منك المظاهر الدينية ، بل يهمني أن أراك حالفته في خلواتك وتضرعت إليه في لياليك .
وقد تم إنشاء جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عهده للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وللحد من تدخلات الإخوان السافرة واستعمال الحكمة في ذلك الأمر .

ومن الحوادث التي أيد فيها الملك عبد العزيز الهيئة أن الشيخ عبد الله ابن سليمان كان قائما على عمل الزراعة وغيرها في الخرج والشيخ ابن باز قاضيا عليها فاتفق أن بعض عمال الشيخ عبد الله بن سليمان لم يحضروا صلاة الجمعة فأخذتهم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنبوهم فغضب السليمان وطلب أعضاء الهيئة ورئيسها للتوبيخ والسجن فاختفوا منه فذهب للشيخ ابن باز في بيته وطلب تسليمهم فأجابه بأن ذلك لا ينبغي وهم معذورون وأن الواجب شكرهم لا سجنهم وإذا فرضنا أنهم غلطوا فيما فعلوا ولم يعرفوا أنهم حراس للحبوب فمثلهم مغفور له خطؤه لحسن نيتهم وقيامهم في أمر الله قال الشيخ ابن باز : فأصر وزعم أن جلالة الملك أمره بذلك فسلمته له وكتبت لجلالة الملك ببيان الواقع فأمر بإطلاق رئيس الهيئة والشخص الذي سجن معه وإكرامهما ومساعدتهما .
ومن كلمات الملك عبد العزيز المحببة إليه :
لا يدوم الملك إلا بدولة عادلة .
وفي حديث الملك فيصل رحمه الله عن والده قال :
إن والدي .... لا يفرق بيننا وبين أبناء شعبه، وليس للعدالة عنده ميزانان يزن بأحدهما لأبنائه ويزن بالآخر لأبناء الشعب، فالكل عنده سواء والكل أبناؤه .
وأذكر أن أحد إخوتي الأطفال اعتدى على طفل آخر فما كان من جلالته إلا أن عاقبه ولم يشفع له أنه ابن الملك .
وجاء أحد المقاولين من أبناء المملكة متظلما أمام جلالته من أحد الأمراء من أبنائه، وتتلخص الشكوى في أن للرجل أرضا تجاور أرض الأمير، وفى غياب الرجل أقام الأمير على قطعة أرضه قصرا ويبدو أن البناء جار على جزء من قطعة الرجل . وسمع جلالته شكوى الرجل، فاستدعى الأمير وسأله عن الواقعة، فذكرأنها حدثت دون قصد منه وإنما عمال البناء هم الذين جاروا على ذلك الجزء . وهنا أطرق ابن سعود ثم نطق بحكمه الذي كان مضرب الأمثال فقال : "يخير الشاكي بين هدم عمارة الأمير حتى يسترد أرضه من تحتها ، أو ينال أربعة أمثال ثمن القطعة مع التعويض المناسب من مال ولدنا الذي اعتدى على أرضه ". ووافق الرجل على قبول الثمن والتعويض، ودعا للملك بثواب الآخرة .
قال التويجري : إن هذا الرجل الذي يحكم على ابنه بذلك الحكم، لا تكفيه كلمة (عادل عظيم) .
وقال حافظ وهبة :

حدث قبل خمس عشر سنة تقريبا أن الأمير ناصر أحد أنجاله دهس بسيارته التي كان يقودها رجلا في الطريق قضاءا وقدرا فمات على إثرها فما كان من جلالة الملك إلا أن أمر باعتقال نجله وأرسل في طلب أكبر إخوان القتيل ، فلما حضر بين يديه بين له ما كان من قصة وفاة أخيه على حقيقتها وأفهمه بأن له كل الحق في طلب إقامة الحد على ولده المومأ إليه أو يرضى بالدية ، وحذره عند ذلك من أن يؤَثِّرَ عليه أحد خاصته فيما يطلبه ويختاره في هذا الخصوص ، وقد اختار الرجل الدية بدلا من إقامة الحد وتسلمها بأكثر مما كان يتوقع .
وثمة حادثه أخرى وهي أن أحد أفراد أسرته ضرب أحد الجنود ، فانهال عليه - رحمه الله - ضربا ليشعره بأن الجميع سواء في الحقوق والمعاملات لا فرق بين الجندي وأمير صغير وكبير .
ومثلا آخر عن عدل جلالته كتبه الأستاذ وليم باسيلي في مجلة الاثنين بعددها الصادر في ٨ مارس١٩٥٤ م بعنوان " ذكريات من الشرق" وهذا هو:

هاتوه مكتوفا

وما أن جاء ذكر المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، حتى أفاض الحاضرون في ذكريات عدله وتشدده في الحق ، من ذلك أنه كان يجتاز الطريق في نخبة من رجاله فاعترضه بدوي حافي القدمين صاح به قائلا: وين عدلك يا عبد العزيز ؟
فوقف الملك وهش للبدوي وقال له : ما عندك يا أخا العرب ؟
فقال البدوي : سيارة الأمير دهمت الإبل ونفق منها ثلاثة ...واستفسر منه الملك عن الأمير صاحب السيارة فإذا به من أحب الأمراء إليه .
فقال لرجاله : ليس في الحق أمير ولا صغير ...
(هاتوا هذا الأمير من داره مكتوفا)...
ثم تأبط ذراع البدوي وسار معه حتى دخل إلى حجرته وأجلسه إلى جواره وأكرمه .. وذهب أحد الياوران مع بعض مرءوسيه الى دار الأمير وهي تبعد نحو سبعين كيلو مترا عن مقر الملك ، وعند وصولهم بالأمير إلى القصر الملكي لفوا على ساعديه الحبل حتى يوهموا الملك أنهم نفذوا أمره وأحضروه مكتوفا ....ولكن هذه الحيلة لم تجز على الملك ، فقام بنفسه وفحص الحبل ، ثم فحص ساعدي الأمير ،والتفت إلى الياوران وقال له : أتخدعني أيها الوغد ؟ لو أنك أتيت به مكتوفا من داره لأدمت الحبال ذراعيه ، وأمر بزج الياوران في السجن لمدة أسبوعين جزاء محاباته الأمير ثم واجه الأمير بدعوى البدوي وأمر بدفع ثمن الجمال الثلاثة التي

دهمتها سيارته .... وكان ثمن الجمل لا يزيد عن ثلاثمائة ريال سعودي في ذلك الوقت ولكن البدوي رأى أن يغتنم الفرصة فطلب ألف ريال للجمل الواحد وقال له الأمير : إذن أعوضك عن جمالك بثلاثة جمال مثلها .. فقال البدوي الماكر : هب أنك أتيتني بثلاثة جمال ، أفلا ينبغي لي أن أروضها حتى تأنس إلي وآنس إليها. ولم ير الأمير بدا من أن يدفع المبلغ الذي طلبه البدوي ، فما أن قبضه حتى التفت إلى الملك وقال له :
الآن آمنت بعدلك يا عبد العزيز .
وإلى القارئ هذا الإعلان الذي يعد فريدا من نوعه في هذا العالم الذي نعيش فيه :
كان الداخل إلى الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة يقرأ على باب المسجد البيان التالي :
من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود إلى شعب الجزيرة العربية..
على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلما وقع عليه، أن يقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا. وعلى كل موظف بالبريد أو البرق أن يقبل الشكاوى من رعيتنا، ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي ...
وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكواه - مهما تكن قيمتها - أو حاول التأثير عليه ليخفف من لهجتها أننا سنوقع عليه العقاب الشديد .
لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد ، أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم .
ألا قد بلغت... اللهم فاشهد .
ومن القصص الكثيرة المأثورة عنه في دفع الظلم عن المظلومين :
ما ذكره التويجري قائلا :
في عام ١٣٥٠ تقريبا - كما أتذكر - جاء إلى المجمعة رجل ... كبير السن يبدو أنه من إيران أو من أفغانستان ، لا أحد يعرف هويته ، ولا هو يعرف اللغة العربية ، وفي الطريق التي قطعها كان بعض الركبان يشفقون عليه ويطعمونه ويسقونه وربما يريحونه بالركوب معهم، لأنه متجه إلى مكة . صدف أن ارتاب فيه بعض الناس الطيبين الذين يتغلب عليهم الحذر من الغريب، ففتشوا متاعه فوجدوا فيه بعض الأوراق فيها أرقام وخطوط قد تكون رسوما للطريق ، وقد تكون خارطة لمسار هذا العجوز ، فذهبوا إلى القاضي ، وكان رحمه الله ، كفيفا، فقالوا له: لقد وجدنا مع هذا

الغريب (أسحارا) و (طلاسم).... إلى آخر ما قالوه ، فكتب القاضي برقية إلى الملك عبد العزيز يخبره فيها قائلا : لقد جدنا مع هذا الغريب من (الأسحار) ما تبلغ عنان السماء ، فرد عليهم الملك عبد العزيز ، رحمه الله ، كيف عرفتم أنها (أسحار)؟ وهل استنطقتموه ؟ أرسلوا لنا ... ما ترون أنه (سحر) فأرسلت الأوراق والخرائط إلي الرياض ، وحين اطلع عليها - رحمه الله - ردها قائلا للقاضي : أنت معذور بقلة بصرك، ولكن أفهم الناس الذين يتخبطون في مثل هذه الأمور أن يكفوا عن سوء الظن!! أما الغريب الذي عندكم فقد أمرنا أمير البلد أن يعد له راحلة ويرسل معه رجلا يخدمه ويوصله إلى مكة...!!
وقد تم ذلك وشهدت بنفسي ما حصل، وحين أبلغ الغريب ما دار حوله مما أمر به الملك عبد العزيز استقبل القبلة ، ونحن نراه ، وأخذ يبكي ويهمهم ، ونحن لا نفهم من هذه الهمهمة غير : عبد العزيز، ولا شك أنه كان يدعو له...
وكان - رحمه الله - يخرج في موكبه وكانوا يطلقون عليه "موكب الرحمة" وبينما كان الموكب يشق الطريق صاح أحد البدو بعد أن اقترب منه قائلا : يا عبد العزيز: مظلوم . فأمر الملك سائقه بالوقوف ، فهو يكره أن يكون بين رعيته مظلوم، فأدنى منه الرجل وسأله حاجته.
فقال: أريد الهجرة.. أريد دواء.. أريد كساء .
فأمر جلالته للرجل بالدواء والكساء، وأعطاه عشرين جنيها لتساعده على الهجرة ثم مضى (موكب الرحمة) في طريقه .
وفي البلاغ الذي أعلنه الديوان الملكي مانصه :
تصل إلى جلالة الملك المعظم نصائح وشكايات مغفلة من الإمضاء، لا يعرف صاحبها
أما النصائح المتعلقة بالدين فهي مقبولة سواء وقعها صاحبها أم لم يوقعها ....
وكان رحمه الله ربما أجاب الناقد له بقوله :
هداك الله يا أخي إنني بشر أخطئ وأصيب والحق معك أرشدتني أرشدك الله .
وعندما احتج فيصل الدويش _ وهو من عامة الناس وليس من علمائهم _ على طول ثوب الإمام . أعطاه المقص وتركه يقص ما يتجاوز حد الدين ..
ومن مظاهر قبوله النصيحة من أهل العلم ما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا قال :

وأذكر أن في أول كتبي إلى ابن السعود إنكارا شديدا على شيء بلغني عنه، عاتبني عليه بأنه لا يقبل مثله من غيري ، وإنما قبله مني لما بلغه من خدمتي للسنة، واعتقاده أنه صدر عن إخلاص لله تعالى، وتحر لخدمة الإسلام والعرب .
وقال : إنني أشهد الله تعالى ، وكل من يطلع على قولي هذا، أنني أشعر - في سريرتي وما يكن قلبي - بتقصير في الثناء على هذا الرجل بالجهر بكل ما أعتقده ، وما أرى فيه من المصلحة والنصيحة للمسلمين ... وأما مسألة الانتقاد عليه ، والنصح له ، فإن ما أمر الله تعالى به من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، يقتضي أن يكون الانتقاد والنصح بيننا وبينه ما دام ذلك ممكنا، وإنما يلجأ المرء إلى النشر، في حالة امتناع الموعظة في السر ، أو في حالة التمرد ، وعدم قبول النصح، ونحن نصرح بأننا نصحنا للرجل بالكتابة مرارا، ببيان ما يجب عليه لملته الإسلامية ولأمته العربية ، وانتقدنا عليه بعض الأمور التي رويناها أو رأيناها من قومه ، كتابة في حالة البعد، ومشافهة في حالة القرب ، فلم يقابل نصحنا وانتقادنا إلا بالقبول والشكر، مع بيان ما عنده من الاعتقاد والرأي .
ومن مواقفه العظيمة في قبول النصيحة والابتهاج بها ما يشهد به هذا الخطاب ، فقد أرسل العلماء إلي الملك عبد العزيز اعتراضاً علي عيد الجلوس فرد بالجواب التالي :
من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل
إلى حضرات الإخوان الكرام قرة عيني وبهجة قلبي علماء المسلمين ، وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا وإياهم في جماع عبيده وأوليائه آمين :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وصلني كتابكم المكرم الذي هو غاية مرادي ، والذي ابتهج به قلبي وسرني غاية السرور
وقد أخذته بعين القبول وهذا الذي يجعلني أزداد حبا لكم ووثوقا بكم، وهذا الذي أرجو أن يكون دائما منكم لي ولأمثالي بالنصيحة وإن الله يجعل القبول مني وممن ولاه الله أمر المسلمين بذلك إني أقول رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فما علمته من عمل موافق لكتاب الله فهو من الله ، وما عملته مخالفا لأوامر الله فهو مني ومن الشيطان وأستغفر الله وبحول الله وقوته سترون إن شاء الله ما يسركم في كل أمر يعلي الله به كلمته ، ويزيل الله به كل أمر يخالف أوامره بحوله وقوته ، وإني لا أزال رهين فضلكم ونصائحكم الثمينة وأرجو من الله أن يحيينا على ملة الإسلام ، ويقيم بنا أوامره ، ويرسل الله فضله وكرمه

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
يقول العقاد :
وكان يحيط بالملك عبد العزيز نخبة من المستشارين الذين يختارهم جلالته من الشيوخ المحنكين والشبان المطلعين ، وبعضهم من نجد والحجاز وسائر أنحاء الجزيرة العربية ، وبعضهم الآخر من سورية أو فلسطين أو طرابلس أو مصر أو البلاد الإسلامية فهم بمثابة جامعة عربية يمثلون عند جلالته مختلف المقاصد والآراء .
وكان حوله مجموعة كبيرة من المشايخ من أبناء آل الشيخ وغيرهم يلتقي بهم كل يوم خميس أو يجتمع بهم على انفراد أو يقصدهم في دورهم ويتبادل معهم الرسائل والأفكار ويجمعهم في مجلس الشورى
وهو الحاكم العربي الوحيد الذي أحاط به مستشارون من معظم الجنسيات العربية ... وجد فيه المصري والسوري واللبناني والليبي والعراقي والفلسطيني إلى جانب السعودي بالطبع .
ومما يذكر من مميزات الملك الراحل أنه كان يحسن اختيار الرجال سواء في وظائف الدولة أو في ولاية الإمارات ولا يقيم أي اعتبار في هذا الاختيار إلا اعتبار المصلحة العامة التي تنادي بالشخص المناسب للعمل المناسب .
وكان اهتمام الملك عبد العزيز برعيته يفوق الوصف مما حدا بكثير ممن رآه أن يبلغ الدرجة القصوى في المدح والثناء ومن هؤلاء المستر فلبي قبل أن يعلن إسلامه الذي استمر يمدح عبد العزيز في كل اجتماع بريطاني حتى ضاق هوجارت ذرعا فقال له :
ولكن مهما يكن فلا بد أن توافقني على أن عبد العزيز لا يزال مجرد بشر . أليس كذلك ؟!
وعقب أول لقاء بين عبد العزيز والبعثة البريطانية – التي ضمت فيلبي – كتبت البعثة في تقريرها :
إن ابن سعود لا يكل ولا يمل من عقد الاجتماعات وسماع الشكاوى والالتماسات ، والفصل في الخصومات ، ومناقشة زواره _ لا يتوقف عن العمل إلا لأداء الصلاة _ من الفجر إلى ساعة متأخرة من الليل ولم يروه مسترخيا مرحا إلا مرتين ، مرة في عرس عائلي دعاهم إليه ، ومرة لحفل فروسية اشترك فيه هو وأولاده وقد زارهم زيارة خاصة في البيت الذي نزلوا فيه ، وتلطف فلم يعلق على بقايا رائحة الدخان التي كانت بالغرفة أما بقية وقته فكان مشغولا باستمرار ويبدو أن لديه قدرة على الاكتفاء بنوم ساعات محدودة .

ويقول أمين الريحاني :
التفت إلي السلطان وقال : أمرنا مشكل يا أستاذ . علينا الكبيرة والصغيرة . فإذا كنا لا نداوم المراقبة لا نكون عالمين بكل ما يتعلق بشؤوننا . العبد والأمير : عينينا على الاثنين حتى ننصف دائما الاثنين ونعدل بينهما .
كان إذ ذاك يراقب قافلة أناخت عند خيمة المؤونة تحمل النبت والخضر والماء من الحسا فأمر السلطان أن يحضر قيمها (أي قائدها) وسأله سؤالاً بخصوص جمل من الجمال . فقال القيم : هو حرون يا طويل العمر .
فأجابه السلطان : اتركه يرعى مع الجيش (أي مجموع الإبل) ولا ترجعه معك . وعاد إلى حيث وقف الحديث فاستأنفه قائلاً :
العدل عندنا يبدأ بالإبل ومن لا ينصف بعيره يا حضرة الأستاذ لا ينصف الناس .
قال كشك :
وقد روى لنا الشيخ عبد الله السديري قصة عميقة الدلالة قال :
دعي الملك إلى حفل غذاء عند الموظف المختص بتنفيذ عطايا الملك للذين يأتون للديوان في طلب المساعدة ، وشاء حظ الداعي أن ينصب المائدة في الطابق الثاني ، وكان ارتفاع منزل في ذلك العهد هو دليل الثراء الفاحش ، فأخذ عبد العزيز يصعد درجات السلم وكلما صعد درجة يقول : مالك سنع!!!...مالك سنع!!!...وسط دهشة مرافقيه فلما استقر به المجلس سألوه التفسير فقال : هذا (يقصد صاحب الدار) يعرض علينا مطالب الناس ، فنأمر بمبالغ يأخذها لنفسه ويقول لصاحب الحاجة : مالك سنع (أي لم يأمر الملك بتسنيعك أي لم يأمر لك بشيء) فهذا البنيان من حقوق الذين قال لهم : مالك سنع .
وكان حريصا على ألا يهمل برقية تأتيه من ملك أو تاجر أو صعلوك من دون أن يجيب عنها هو بإمضائه الصريح عبد العزيز في جميع المناسبات وكذلك الرسائل .
ومن رسالة من رسائل الملك عبد العزيز وجهها لأهل الدخنة يبين لهم أمر الإمارة وما تستقيم به يقول :
ولكن نريد أن نعرفكم بالشروط التي ما تستقيم الإمارة على أحد كائنا من كان إلا بمقوماتها :
أولا إنكم إن شاء الله تعالى تتيقنون أن هذه الشروط متوفرة فيمن يقع عليه الخيار وهو يدري بها فنحن نرضاه وهي:
الأول : تقويم أمر الشرع على كائن من كان بلا تعوق ولا تثبيط.

الثاني : مواساة الناس وتوليفهم وعدم الموافقة لأحد دون أحد دون أمر الشرع .
الثالث : أن يكون مستقيما على ذلك وملازما لطالب العلم الذي عنده فإذا حصلت هذه الثلاث فهذه زينة الحياة والرجاء في الآخرة .
ثم تفهمون بارك الله فيكم أن كل إنسان ما بين غايته ومحبته ووثوقه من صديقة إلا كونه يعطيه غايته ويقبل نصيحته وتعرفون اليوم أنه ليس أحرى أو أوثق في أمر الدين والدنيا من طلبة العلم فإن وثقتم بهم واستنصحتم بهم وأعطيتموهم غايتكم فأنتم أديتم اللازم والأمل تصيرون أقرب للنجاة والتوفيق ، فإن صار ضد ذلك فلا أظن بل أتيقن أن لا أحد سيوفق للخير ما لم يكن قدوته كتاب الله وسنة رسوله ثم طلبة العلم .
وقد كان من حنكة الملك عبد العزيز في مجال نشر الدعوة السلفية خارج المملكة أنه كان يختار للمناصب السياسية في المفوضية السعودية في البلدان المختلفة الشخصيات الصالحة حيث كانت هذه الشخصيات تدعو إلى الإسلام بما تحلت به من أخلاق فاضلة وفكر سديد .
يقول العقاد :
والواقع أن الشورى في تدبير أمر الدولة نظام معمول به في الحكومة السعودية منذ قيامها ....
ومن ذلك الحين يجتمع مجلس الشورى وتعرض عليه الشئون الخاصة بالبلدية والمحاكم الشرعية والأوقاف وتعميم التعليم وحفظ الأمن وترقية التجارة وحل المشكلات الداخلية التي ترجع إلى العرف ولا تخالف أصلا من أصول الشريعة .
ويقول كشك عن الملك عبد العزيز :
وهو أول حاكم عربي لجأ إلى أسلوب المؤتمرات العامة لمناقشة القضايا العامة للدولة والخلافات الداخلية ، قبله كان الملوك يصدر عنهم ، نطق ملكي كريم كأن مجرد نطقهم هو الحدث الأكبر .
وإذا كانت المؤتمرات الحزبية والشعبية قد تفشت من بعده ، فقد بقي فضله أنه كان يبيح المعارضة والمناقشة فيها ، ويطلب من المؤتمرين أن يواجهوه باعتراضاتهم ، ومازال الشوط بعيدا حتى نرى ذلك في مؤتمراتنا.
وكان الملك عبد العزيز كما قال الزركلي :
موفقا ملهما محبوبا عمر ما بينه وبين ربه وما بينه وبين شعبه شجاعا بطلا انتهى به عهد الفروسية في شبه الجزيرة ، كريما لا

يجارى خطيبا حِدِّيثا لا يبرم أمرا قبل إعمال الروية فيه يستشير ويناقش ويكره الملق والرياء .
ومن الأعمال التي أنجزت في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله إنشاء مؤسسة النقد العربي السعودي وتكون وظائفها دعم النقد الرسمي للدولة ومعاونة وزارة المالية ولا تتقاضى المؤسسة ولا تدفع أي فائدة على ما تقبضه أو تصرفه ولا تباشر أي عمل يتعارض مع قواعد الشريعة الإسلامية السمحة .
ومن حرص الملك عبد العزيز رحمه الله على البعد عن الربا أصدر البيان مفصلا بخصوص العملات ومما جاء فيه :
فلما رأت الحكومة انهماك الناس في هذين الأمرين، الأول- وهو أكبرها- وقوع الناس في الربا، والثاني اضطرابهم بالعملة، والبلاد بلاد واحدة مرتبطة بعضها ببعض ...الخ
وقال محيي الدين رضا :
إن مزية واحدة من المزايا التي يمتاز بها جلالة الملك عبد العزيز كافية لرفعة الرجل وجعله موضع تجلة واحترام العالم فما بالك بهذا الملك الهمام الذي سار ذكره مسير الشمس ، وتحلى بمكارم هي غرة في جبين الدهر ، فعقدت له تاجا ساطعا متلألئا ، ولقد زانه التواضع فهو يقابل الصغير والكبير ويهش لكليهما ويكرم كل قادم عليه وحسبه فخرا أنه أمن البلاد ..... والكل يعتقد كأنما عليه رقيب روحي لا يراه .....
وقال :
هذه لمحة سريعة عن ملك المملكة العربية السعودية الذي جعل بلاد العرب في درجة من الأمان والهدوء يغبطها عليهما سائر ممالك العالم .
وقال : حرسه الله وأبقاه عمرا طويلا ممتعا بدوام العز والتأييد ، فقد خضع لله عز وجل وجرد نفسه من كل فضل بإرجاع كل عمل جليل لتوفيق الله والله يتولى الصالحين بعين رعايته الصمدانية .
وقال : ذلك الملك العظيم الذي جعل العرب والمسلمين جميعا يفاخرون بالأمن في الحجاز ويتيهون عجبا وفخرا لأنه فاق فيه أعظم البلاد علما ومالا وحضارة واستعدادا ، وإذا خوطب في ذلك قال : إنه لا فضل له وإنما الفضل لله عز وجل .
وقد تقدم محاربته رحمه الله للشرك في أمته وسده الأبواب المؤدية إليه قولا وفعلا فجزاه الله خير الجزاء .
ومن أظهر الأدلة على البون الشاسع بين الحالة الدينية في الجزيرة قبل عهده رحمه الله وبعده ما قاله الشيخ سعد بن عتيق وبعض العلماء في وصف الوضع قبيل الملك عبد العزيز ، وذلك في

رسالة إلى زعماء الإخوان نشرت بينهم مذكرين إياهم بنعمة الله في تحسين الحالة الدينية في عهد الملك عبد العزيز قالوا :
اعرفوا نعمة ربكم واشكروه عليها فإنكم كنتم أولا في جاهلية عريضة وحالة عن الحق بعيدة ، رؤساؤكم أكثرهم طواغيت كبار ، وعوامكم جفاة أشرار لا تعرفون حقائق دين الإسلام ولا تعملون من الحق إلا بما تهوى نفوسكم ، مع ما كان بينكم من سفك الدماء ونهب الأموال وقطيعة الأرحام وتعدي حدود الله وغير ذلك من المحرمات وعظيم المنكرات ، ثم هداكم الله لمعرفة دينه والعمل بتوحيده وسلوك مسلك أهل الإسلام والتوحيد ، وانتشرت بينكم كتب السنة والآثار ومصنفات علماء الإسلام .
وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع الأخبار عن الإجرام أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام
وبعد أن كان الأمن يعجز عن حفظه والسيطرة عليه قوة عسكرية عظيمة أصبح الأمن محفوظا بقليل من الشرطيين .
وهناك قصص كثيرة عن الأمن في ربوع المملكة ذكرها غير واحد من المؤلفين ومنهم الريحاني في كتابه ملوك العرب ، وأمين محمد سعيد في كتابه ملوك المسلمين ، وشكيب أرسلان في كتابه الارتسامات اللطاف ، ومحمد علوبة باشا في تقريظه لكتاب مصطفى الحناوي ، والكاتب آرمسترونج وغير ذلك كثير جدا سوى المقالات المنشورة ، وقد أفرده بالتأليف عبد الحي قزاز في كتابه الأمن الذي نعيشه .
يقول التويجري :
حالة أخرى من الحالات التي تشير إلى مواقف إنسانية عظيمة مع الناس البسطاء الذين أمنوا في ظل دولة الملك عبد العزيز، أوردها هنا...
عندما توفي الملك عبد العزيز، رحمه الله ، حصل أن صادف وجودي في إحدى القرى، وكان لي صديق كبير السن ، بسيط ، لكنه إنسان مؤنس وفيه روح الأدب، مهنته النجارة البسيطة، وجدته يبكي بكاء بشكل لا تنساه الذاكرة، بدموع غزار، ويترحم على الملك عبد العزيز، فسألته: ماذا أعطاك عبد العزيز حتى تبكيه هذا البكاء؟ هل رآك ورأيته؟ قال: لا لم أره، ولكنه رآني ورأيته في أمني على نفسي وعلى أهلي وعلى رزقي ، أنت تعرف أن مثلي ومثل والدي لا عصبية لنا. كان والدي فقيرا ، لا يملك غير مهنته التي يعيش منها وتعيش أسرته، وهي النجارة. مثلنا لا يجد الأمن إلا عند صاحب السلطة . وكان أمير هذه القرية ، قبل الملك عبد العزيز ، هو السلطة وما عرفنا في يوم من الأيام إلا ورجال

هذا الأمير يقتحمون علينا بيتنا، ويصادرون أثمن ما فيه. وعندما ذهب والدي يتظلم، أتدري ماذا كان رد أمير القرية عليه؟ قال له: إن عندك بنات جميلات..!! فدعا والدي عليه ، وخرج كسير النفس ، أتعرف كيف كانت نهاية هذا الظالم؟ بعد أن جاء الملك عبدالعزيز قطع دابره، ودابر ظلمه وأمثاله . وكان عمري آنذاك عشر سنوات .
من لا يبكي على عبد العزيز؟
لا يبكيه الرجل الظالم ... أما أمثالنا من البسطاء ، فنبكيه وندعو له بالرحمة .
وقد أحب الملك عبد العزيز والديه حبا جما لا مزيد عليه يذكرهما فينهمر دمعه .....وكان يزور قبريهما زيارة شرعية ويستنزل عليهما الرحمة ويدعو لهما رجاء أن يسكنهما الله فسيح جناته ويسكب عليهما صيب رضوانه .
ولما قدم الملك عبد العزيز إلى الرياض واستقبله بعض الأمراء والمشايخ والعلماء سأل عن والده فقيل : إنه لم يجلس بعد . فانتظر خارج المجلس قليلا وكان والده قد نزل إلى مجلسه فاستأذن بالدخول فأذن له، فكان الملك عبد العزيز رحمه الله تأدبا مع أبيه يقف على الباب قبل الدخول يصلح من عقاله ويرتب ثوبه فدخل بكل أدب وخشوع حتى وصل إلى والده فقبله بين عينيه وجلس بين يديه بكل احترام وإجلال ثم قدم لوالده بعض رجال حاشيته وطفق يسأل والده عن صحته وراحته وهو متيقظ لكل بادرة تبدو من والده ليأمر بالإسراع في إنفاذها .
كان له رحمه الله أوقات خاصة يزور فيها والده لا يمكن أن يخل بها يوما من الأيام ينظر فيها أباه ويفتش عن راحته ويسعى في تأمين رفاهيته بأدب وحشمة ، فهذا أدب القرآن الذي تأدب به .
وفي اليوم التالي لوصول الإمام عبد الرحمن الرياض بعد فتحها أرسل عبد العزيز من القصر إلى والده يقول : الإمارة لكم وأنا جندي في خدمتكم .
وكان حين يخاطب أباه يجعل لنفسه صفة المملوك ، ويجلس بين يديه صامتا ينتظر ما يأمره به .
وقال شيخ كبير من علماء مكة :
لما استقرت الأمور للملك عبد العزيز في الحجاز ، حضر والده الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من الرياض ، ليؤدي فريضة الحج ، فدخل المسجد الحرام يطوف ، ومعه ابنه عبد العزيز . فطاف الوالد والولد ولكن الأب كان قد جاوز ... من العمر ضعيفا لا يقوى على المشي والتعب . فأدركه الإعياء فهبط على الأرض بعد ثلاثة أشواط من الطواف . فما كان من ابنه عبد العزيز الذي كان

في وسعه أن يصدر الأوامر إلى خدمه وعبيده بأن يحملوا أباه على أكف الراحة ، إلا أن حمل والده على مرأى من الناس جميعا وأتم بقية الأشواط .
وكان عبد العزيز بعد وفاة أبيه ، لا يذكر أباه إلا ترحم عليه، وطلب له الغفران . ولا تكاد تعرض مناسبة، إلا أشاد بما كان لوالده ووالدته من فضل في تربيته وتوجيهه.
وإلى جانب بره بأبيه ، كان عظيم البر بأسرته، يسأل يوميا عن الجميع . ومن لم يتيسر له أن يزوره منهم ، يحدثه بالهاتف . وله مجالس خاصة بالأسرة لا يحضرها إلا أفرادها .
قال محمد أسد :
كان يسلك حيال أبيه سلوكا متواضعا إلى أبعد حدود التواضع حتى إنه لم يكن ليسمح لنفسه مطلقا بأن يطأ أرض غرفة من غرف القصر إذا كان عبد الرحمن أبوه في الغرفة التي تحتها . ولا يجلس أبدا في حضرة الشيخ إلا إذا دعاه إلى ذلك علانية .
وننقل هنا هذه الرسالة التي تعد مثالا لأسلوب الملك عبد العزيز الرفيع وأدبه الجم في مخاطبة أبيه إذ يقول فيها :
جناب الأجل الأمجد الأفخم بهي الشيم حضرة سيدي المكرم الإمام الوالد عبد الرحمن بن فيصل المحترم سلمه الله تعالى وأبقاه آمين.
بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام
أولا السؤال عن شريف خاطركم العاطر أرجو الله تعالى أنكم ومن لديكم بخير وسرور وعنا نحمد الله تعالى على نعمه التي لا تحصى بخير نرجو أن الله تعالى يرزق الجميع شكرها ويديم لنا وجودكم . خطكم المكرم وصل تلوناه حامدين الباري جل شأنه على دوام صحتكم وما عرف حضرتكم به كان لدى مملوككم معلوما .
وكان الملك عبد العزيز رحمه الله يحث أنجاله على الزواج في سن مبكرة حتى إن بعضا منهم كالملك فيصل رحمه الله أصبح جدا قبل عام ١٣٦٥ هـ.
وأول ما تزوج رحمه الله كان في حدود الثامنة عشرة وتوفيت زوجته بعد ستة أشهر من عرسها .
وكان كثير الزواج وعنده على الدوام أربع زوجات ، وقد يسر للناس الزواج وحبب لهم الإكثار منه وحدد المهر في نجد بمائة ريال وقد أصهر إلى معظم القبائل في شبه الجزيرة العربية .
ولما كان جلالته في أول أيام ملكه أراد أن يتبع سنة الرسولﷺ وكان يرمى إلى تأمين نفسه فكان يختار لنفسه زوجة من بين

بنات كل قبيلة وبهذا كفل أن تلتف القبائل حوله لأن كل قبيلة سيكون لها ولد في البيت المالك تجري في عروقه دماؤها .
يقول وليام إيدي :
وله من الأولاد الأحياء سبعة وثلاثون ولدا وعدد غير معروف من البنات فأمر النساء في الأسرة المسلمة أمر خاص لا شأن لأحد به ... ورغم ما يبدو في الظاهر من أن تعدد الزوجات هذا يدل على قدرة عاطفية إلا أنه يمكن أن يفسر أيضا على أنه خطة سياسية تهدف إلى توحيد قبائل شبه الجزيرة العربية .
اشتدت عنده في الربع الأخير من حياته فكرة الترغيب في الزواج .... وكان لا يتردد في مساعدة من يلجأ إليه في طلب معونته على الزواج .
كان آخر أولاده قد ولد عند بلوغه الثالثة والسبعين من العمر .
اعترض أمريكي عليه في عادته في تعدد الزوجات فأجابه :
أنتم تحبسون من يتزوج بالثانية ولا تبالون بمن يستكثر من دون زواج.
قال الزركلي :
كان عبد العزيز قليل النوم والطعام كثير القراءة والصلاة طويل التهجد في الليل يمنح أهله أكبر نصيب من وقته ...
وكانت دار خلوته بأهله وأطفاله دار بهجة ومرح ، لا تزمت فيها ولا تجهم ، يداعب الصغار وقد يركبون ظهره ويحبو بهم ويضحكون وتضحك أمهم ويضحك هو معهم .
قال عبد الله الفيصل متحدثا عن جده :
من المعروف عنه حبه للنظافة والطيب . وكان ذلك في أثناء النهار ليس موضع استغراب بالنسبة لي ، ولكني لاحظت في إحدى الليالي أنه قبل أن يذهب إلى فراشه ذهب إلى الحمام ، واستحم ، ولبس للنوم ملابس نظيفة ، ودعا بالبخور ، وتبخر بالعود ، وتعطر بعطر الورد الذي كان يحبه فتجرأت بسؤاله عن هذا وهو ذاهب إلى فراشه ، فقال : يا ابني إن زوجتي حرصت على أن أراها في أبهى منظر ، وأن أشم معها أحسن رائحة .. أليس لها نفس الحق في أن تراني في أبهى منظر ، وأن تشم معي أزكى رائحة .
وقد حرص الملك عبد العزيز على تنشئة أنجاله نشأة بدوية مثله من حيث الفروسية وبساطة العيش فكل واحد منهم يجيد الرماية وركوب الخيل وكل واحد منهم ألف حياة الصحراء والسكنى في الخيام وعندما يكونون عنده لابد أن يصلوا الفجر معه ثم يذهب كل واحد في حاله وينصرف إلى عمله .

وكان رحمه الله يعقد في يوم معين من كل أسبوع مجلسا لنساء الأسرة، فيتفقد أحوالهن ويستمع إلى رغباتهن ويسدي إليهن النصح في كيفية تربية أطفالهن ، وكان لهذه المجالس تأثيرا كبيرا في تعزيز أواصر الألفة والمودة بين أفراد الأسرة .
ولكل ولد من أولاده ، ولكل حفيد من أحفاده ، ولكل فرد من أفراد أسرته نصيب من عطفه ورعايته .
وفي حديث الملك فيصل رحمه الله عن والده قال :
إن والدي في تربيته لنا يجمع بين الرحمة والشدة .... وليس لشفقة والدي وحنانه على أبنائه وأحفاده حدود ، بل هو يغمرهم بعطفه في كل آن، وهو يحب أن يراهم يوميا- وخاصة صغارهم- فيجتمعون بعد مغرب كل يوم في قصره، ويجلس إليهم فيلاطفهم واحدا واحدا ويقدم لهم الهدايا والحلوى.
يقول الأمير سلمان :
الملك عبد العزيز كان يتفقدنا في الصلاة.. في الفجر والظهر والعصر ما عدا المغرب ، فالمغرب يتمشى فيه فهو يصلى المغرب بالبر وكذا العشاء.. ويا ويل من لا يصلي ، كانت توجد غرفة مخصصة شبيهة بالسجن لمن لا يصلي أو كذا يوضع فيها، وأنا ما أذكرها.. وأبناؤه حتى المتزوجون يتفقدهم . فلذلك لا تجد- والحمد لله - من أبناء عبدالعزيز إلا كل واحد منهم يحافظ على صلواته لأن هذه تربية عبدالعزيز والغرفة هذه في قصر المربع- وأنا أعرفها الآن.. وهي بجانب مكتب محمد بن دغيثر.. هذه للذي لا يصلي الفجر .. كان فيه ابن مبارك وابن مسلم يأتون من الفجر والذي لا يقوم للفجر يصبون عليه ماء حتى يصحونه للفجر.. وكنا أطفالا وقتها ما أدركنا.. والذي لا يصلي ، أو تفوته صلاة الفجر مثلا ، أو لا يذهب إلى المدرسة يوقف في هذه الغرفة.. مرات ونحن أطفال من أجل ألا نذهب إلى المدرسة نجلس في تلك الغرفة لكنه انتبه- يرحمه الله- لهذا الأمر .
لذلك تربيته كانت الشدة مع أبنائه في الأشياء الأساسية في عقيدتهم في صلاتهم في كل أمورهم في كبح جماحهم عن التعدي على أحد وكذا.. في الوقت نفسه التعاطف معهم والتفكه معهم ورعايتهم في الأوقات الأخرى والسؤال عنهم في مرضهم.. ورغم أن مسئوليته لا تعطيه الوقت الكافي إلا أنه كان يرعى أبناءه ويتفقدهم .
وقد حكى التويجري أنه تفقد بعد صلاة الجمعة ابناً له فلم يجده في المسجد ولقيه في البيت وسأله عن سبب تخلفه عن الصلاة فأجاب بأنه تأخر عن غير قصد فجأة ولم يدركها فرجع فأمر بسجنه

وسجن خدمه جزاء لئلا يتخلفوا عن الجمعة ويبادروا إليها مرة أخرى ..... ولبث في سجنه ثلاثة أيام .
ومن عجائب ما يراه المطلع على حياة الملك عبد العزيز حرصه على اصطحاب الأطفال معه في مواقف لا يمكن أن ترى أحدا غيره يصطحب فيها طفلا ، وإنك لتعجب من رؤيته محاطا بطفلين أو ثلاثة في صورة تذكارية مع رؤساء دول وكبار مسئولين ، وهذا من شدة عطفه ورأفته بالأطفال واتباعه الهدي النبوي الكريم .
قال ناكانو الياباني :
وحين خرجنا من الغرفة شاهدت ثلاثة أولاد يرتدي كل واحد منهم عقالا مقصبا بخيوط مذهبة ويحمل في يده نسخة من القرآن (الكريم) فقال يوسف ياسين : إنهم أحفاد الملك قدموا من الكتاب حالا ، والكتاب موجود في هذا القصر ، يدرس فيه أربعون طفلا تقريبا معظمهم من أبناء الملك وأحفاده .
وقد احتفل الملك عبد العزيز بختم ابنه مشاري للقرآن احتفالا عظيما أقيمت فيه العرضة وعطلت فيه المصالح الحكومية والأسواق ونظمت مأدبة إفطار دعي إليها أطفال الكتاتيب ومعلموها ومدرسو مدرسة الأمراء التي درس فيها الابن مشاري وشارك الملك في العرضة .
ويقول الملك عبد العزيز رحمه الله :
أما الأمر الذي لا يوجد تحت أديم السماء أقبح منه في العقيدة وفي الوقت نفسه مخالف لكل عقل سليم وفكر مستقيم ونقل قويم هو كون الرجل يدعو أو يعبد أو يرجو أو يخاف غير الله الجبار المتكبر رب العباد القادر على الأولين والآخرين من المتجبرين أو المتكبرين الذي جعل الجنة رحمته ووفق لها كل صاحب سعادة وخير، والنار عدله ونقمته وساق لها أهل الشر والنكد والضلالة وأقبح من ذلك في الأخلاق ما حصل من الفساد في أمر اختلاط النساء بدعوى تهذيبهن وترقيهن وفتح المجال لهن في أعمال لم يخلقن لها ، حتى نبذن وظائفهن الأساسية من تدبير المنزل وتربية الأطفال وتوجيه الناشئة التي هي فلذة أكبادهن وأمل المستقبل إلى ما فيه حب الدين والوطن ومكارم الأخلاق، ونسين واجباتهن الخلقية من حب العائلة التي عليها قوام الأمم وإبدال ذلك بالتبهرج والخلاعة ودخولهن في بؤرات الفساد والرذائل ، وادعائهن ذلك من عمل التقدم والتمدن، فلا والله ليس هذا التمدن من شرفنا وعرفنا وعاداتنا، ولا يرضى أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان أو إسلام أو مروءة أن يرى زوجته أو أحدا من عائلته أو من المنتسبين إليه في هذا الموقف المخزي ، هذه

طريق شائكة تدفع بالأمة إلى هوة الدمار ولا يقبل السير عليها إلا رجل خرج من دينه، خرج من عقله، خارج من عروبته ، فالعائلة هي الركن الركين في بناء الأمم ، وهي الحصن الحصين الذي يجب على كل ذي شمم أن يدافع عنها .
إننا لا نريد من كلامنا هذا التعسف والتجبر في أمر النساء ، فالدين الإسلامي قد شرع لهن حقوقا يتمتعن بها لا توجد حتى الآن في قوانين أرقى الأمم المتمدنة، وإذا اتبعنا تعاليمه كما يجب، فلا نجد في تقاليدنا الإسلامية وشرعنا السامي ما يؤخذ علينا ولا يمنع تقدمنا في مضمار الحياة والرقي إذا وجهنا المرأة في وظائفها الأساسية ، وهذا ما يعترف به كثير من الأوروبيين من أرباب الحصافة والرأي والإنصاف، ولقد اجتمعنا بكثير من هؤلاء الأجانب، واجتمع بهم كثير ممن نثق بهم من المسلمين وسمعناهم يشكون مر الشكوى من تفكك الأخلاق وتصدع ركن العائلة في بلادهم من جرآء المفاسد، وهم يقدرون تمسكنا بديننا وتقاليدنا وما جاء به نبينا من تعاليم عالية تقود البشرية إلى طريق الهدى وساحل السلامة ، ويودون من صميم قلوبهم لو يمكنهم إصلاح حالتهم هذه التي يتشاءمون منها وتنذر ملكهم بالخراب والدمار والحروب الجائرة، وهؤلاء نوابغ كتابهم ومفكريهم قد علموا حق العلم هذه الهوة الساحقة التي أمامهم والمنقادون إليها بحكم الحالة الراهنة، وهم لا يفتأون في تنبيه شعوبهم بالكتب والنشرات والجرائد على عدم الاندفاع في هذه الطريق التي يعتقدونها سبب الدمار وسبب الخراب .
ومن صيانته رحمه الله لنسائه أنه كان يقسم السيارات قسمين قسم فيه السيارات التي تقل النساء والسيارات ذات الأحمال الثقيلة ويكون أمامها سيارة بها دليل عالم بوهاد الأرض وقسم آخر به سيارة الملك وبقية السيارات.
وفي رحلته رحمه الله للقاء روزفلت :
قال يوسف ياسين : لابد أن يرافق الملك بعضا من أزواجه .
فرد عليه ويليام إيدي بأنه يستحيل توفير جناح خاص معزول على ظهر المدمرة .... ثم قال وليام : وأكدت له أن الملك لا يود لسيداته أن يجتزن السلالم الضيقة شديدة الانحدار حيث قد يفقدن توازنهن مع التمايل المفاجئ الذي قد يحدث للسفينة فينكشف الحجاب عن وجوههن على الأقل .
ولم تظهر في يوم من الأيام امرأة من نسائه سواء في لقاءات رسمية أو في غيرها كما يفعل غيره مع الأسف ، رحمه الله رحمة واسعة وعلى دربه سار أبناؤه نسأل الله لهم التوفيق .

ولم يجلس على مائدة الملك مع الرجال طول حياته إلا امرأة واحدة هي الأميرة أليس قرينة حاكم كندا وكانت مع زوجها في ضيافة الملك بعد أن لبست الثياب العربية وعلى وجهها شبه قناع .

قال الزركلي : قلت ليوسف ياسين أكانت هذه المرة الأولى ؟ فقال : نعم ، والأخيرة!!

وكان الملك عبد العزيز من حبه لصلة الرحم يفضل زيارة بعض قريبات له من كبريات النساء على الراحة من عناء السفر الطويل . ولابد له أيضا في كل يوم في ساعة معينة من النهار أن يزور فيها عماته وبعض شقيقاته والقرابة القريبة منه .

أما إخوانه فالعلاقة بهم كأوثق ما تكون العلاقات بين الأخوة فهو يستشيرهم دائما ويتواضع لهم ويشعرهم بحبه وإخلاصه .

وكان رحمه الله دائم الزيارة لأخته الكبرى وكان يتلطف إليها، ويشعرها بمكانتها عنده لأنها أكبر منه، وأنه كان يقبل رجاءها بل أمرها، ويتحدث إليها في الهاتف، كما كان يزور بناته في بيوتهن ويحمل لهن الهدايا ليدخل على نفوسهن السرور .

وتحدث فلبى في كتابه عن بساطة الملك عبد العزيز في عادته الشخصية ولباسه وطعامه ، وكراهيته للمظاهر الكاذبة والأبهة الفارغة ، وأنه إذا أراد بدوي أن يخاطبه فما عليه إلا أن يقول : يا عبد العزيز .

وقال عن كرمه : ليست له حدود ، وقال : ليس العبوس في نظر عبدالعزيز ، دليلا على الوقار ، كما يحسبه بعض مثقفي أوربا ، أو بعض سكان الرياض نفسها ، وبداهتة سريعة ولطيفة . ومن صفاته الجذابة جدا ، حبه لأقاربه الأحياء منهم والأموات ، وقال : هو جندي ناجح ، ومصلح أصيل ، تقي كل التقى ، إنسان صريح حازم ذكي متواضع .

ولا أعلم أن في العالم حاكما تتحدث معه رعيته بمثل الحرية التي تتحدث بها رعية عبد العزيز معه وذلك إلى جانب ما تكن له من إكبار وإخلاص عظيمين وقال : إن جميع الأوربيين الذين قابلوا الملك عبدالعزيز مقتنعون بمقدرته العجيبة على تكييف الرأي العام في الجزيرة العربية .

وقال الزركلي :

فما كان عبد العزيز يتحدث ، إلا والبشاشة على وجهه ، يكره العبوس ويأبى أن يتسم بسمات الجبارين ويحب النكتة ويضحك لها إذا جاءت في وقتها ، ويرويها .

لا يخص بها حاشيته وخاصته ، بل كثيرا ما يتخلل مفاوضاته مع رجال السياسة ، مثل يضربه لنكتة فيه ، أو بيت شعر يتمثل به ، فيتحول المجلس من تجهم وغموض وفتور . إلى حركة وصراحة وبشاشة.

ويقول الكاتب الألماني ليوبولد وايس :

ولاشك أن الأجنبي الذي يرى ابن سعود لأول مرة يبتسم لبساطة هذا الملك ....إذ يبصره في ثوب عادي في غرفة ذات أثاث بسيط وإذ يشهده يقوم لكل قادم ويمد يده لتحيته وإن كان بدويا من أفقر البدو .

قال الكاتب المصري إمام أبو شنب :

شاهدت بعيني رأسي أعرابيا قزما يدخل على الملك عبد العزيز ويريد تقبيله في جبينه . فلما لم يستطع لقصره وطول الملك ، أمسك برأس جلالته ، وقربه إليه قائلا : كيف أنت يا عبد العزيز ؟

ومن قصص إنسانيته التي تدل على تواضعه ما يقصه التويجري قائلا :

ومن الحالات الكثيرة التي تشير إلى إنسانية الملك عبد العزيز:

في مطلع الأعوام التي خرج فيها الملك عبد العزيز، رحمه الله، من الكويت قدم رجل زاهد تقي اسمه (عبد الكريم الدرويش) إلى نجد، ويظهر أنه أفغاني، ظل سائحا متنقلا يعبد الله ويدعو إلى الخير، غريب إلا من تقاه ومن حب الناس له، صادف في يوم من الأيام وجود الملك عبد العزيز في البلدة التي كان فيها هذا الزاهد، والملك عبد العزيز آنذاك شاب ، فالتقى به صدفة في إحدى الطرقات. وكان الملك عبد العزيز يتقلد سيفا ، فلامس عبد الكريم السيف ثم قال لعبد العزيز: أهذا السيف الذي تتقلده لله ولحكم الله أم لبطنك ؟ فضحك الملك عبد العزيز وربت كتفه وقال له : بل هو لهم جميعا يا عبدالكريم ، ولكن ادع لي ، وهل لك حاجة تطلبها ؟ فقال : لا حاجة لي في شيء ، يكفيني من دنياكم هذه الوجبة البسيطة التي في يدي ، آكلها، وكان قد أخذها من وليمة أقيمت للملك عبد العزيز .

هذا الدرويش أغضبه وأزعجه ظلم أمير بلد آخر رغب أن يستقر فيه، فصار يدعو إلى إزالة الظلم، فجاء به هذا، وأمره أن يغادر البلد في خلال ساعات، وإذا وجده لم يرحل في الصباح قيل إنه سيقتله ، وإنه أقسم على ذلك. فما كان من عبد الكريم الدرويش إلا أن ذهب إلى المسجد ثم صلى ونام ، فحاول المشفقون عليه أن يمتثل للأمر، ويخرج من البلد، فقال لهم : كم بقي على طلوع الصباح ؟ فقالوا له : بقي نصف الليل ، فرد قائلا : في هذا النصف

من الليل فرج من الله. وعند الصباح حمد عبد الكريم السرى مع الله ، إذ جاءت سرية من سرايا الملك عبد العزيز منتدبة للقضاء على هذا الأمير فاقتحمت عليه قصره وقتلته ، فمر عبد الكريم الدرويش أمام منزله وناداه : قم اقتل عبد الكريم...!! هذه مغبة الظلم يا أمير ...!!
وطبعا عبد الكريم الدرويش مشهور في نجد ومعروف ، وقد خلف أولادا يقيمون الآن في المملكة ، وهم أبناء صالحون ، منهم من خدم في الدولة ومنهم من يتسبب في طلب الرزق....
هذه القصة ومثيلاتها واقعية يرويها الناس، ليس للخيالات فيها دخل ، هي حقيقة ثابتة لعل المؤرخ المنتظر يعطيها صورة أو صورا مشرقة من إنسانيتها.
ومن مواقف صبر الملك عبد العزيز العجيبة تلك الحادثة التي يرويها لنا طبيبه الخاص .
قال الدكتور رشاد فرعون :
أردت أن أخرج رصاصتين استقرتا في بطن الملك أثناء إحدى المعارك فأتيت بالمخدر لأحقنه به فقال لي : ماهذا ؟
قلت : البنج .
قال : لماذا ؟
قلت : للتسكين حتى لا تتألم ..فضحك وقال : دعك من هذا .
وبعد البنج ماذا تنوي أن تفعل ؟
قلت : بعد ذلك أشق بالمبضع جلد البطن في موضع الرصاصة وأخرج الرصاصتين .
فأخذ المبضع فشق الموضع بنفسه وأخرج الرصاصتين ثم قال لي : الآن تستطيع خياطة الجرح ، ولا تحتاج معي إلى البنج .
قال رشاد : لقد كان أقوى من الألم .....رحمه الله .
ومثل هذه القصة كثير في حياة الملك عبد العزيز رحمه الله .
قال ناكانو نقلا عن يوسف ياسين :
الناس يقولون إن الملك له أكثر من مائة وخمسين أميرا هم أنجاله ، لكن بعضهم ليسوا من أبنائه فهو يربيهم ويرعاهم منذ أن فقدوا آباءهم أو إخوتهم الذين كانوا يحاربون جنبا إلى جنب مع الملك .
ومن مواقف غضبه رحمه الله أنه كان جالسا كعادته على شرفة في قصره بالمعابدة بمكة يشرف على الطريق من نافذة كبيرة فرأى رجلا أراد أن يكلم آخر فانتهره هذا ، فقال الرجل : عساي لم أخطئ يا محفوظ ، لقد بت من غير عشاء ! وسمعه الملك فناداه : ما بالك يا رجل أدخلوه فقص على الملك أنه وصل إلى مكة بعد الغروب بساعتين وطلب شيئا يأكله فلم يسعفه أحد فدعا الملك

إبـراهيم بـن جميعـة وابـن إدريـس وكانـا القـائمين بـأمر المضـيف وتناولهما بالضرب حتى كادا يهلكان ....
فقد كان له أحيانا غضبات على بعض رجاله وكبار موظفيـه يخطـئ الموظف أو يسبق إلى ذهن الملك أنه أخطأ فتكون اللطمة ويتبعها اللكم والشـتم ولا يكـون ذلـك إلا لطبقتـين همـا الخـدم ومـن فـي مستواهم وخاصة الخاصة من ثقاته الملازمين له .
والمحسود مـن الطبقتـين مـن يلكمـه عبـد العزيـز أو يشـتمه فإنـه سرعان ما تهدأ عاصفته ويرق قلبه فيعطيه ما ينسيه الألم .
يكاد يكون العفو من أبرز شيم الملك عبد العزيز ، وكان إذا عفا أتبع عفوه إحسانا ، وكان دائما أقرب للعفو منه إلى العقاب .
وهذه قصـة للملـك عبـد العزيـز مـع رجـل تجـرأ علـى الأمـن وكـون عصابة هو وأولاده... هذه القصة تتلخص في أن أحد أمراء المناطق أرسـل رجاله ليأتوه بشخص اسمه مجـري العتيبـي وأولاده ، وكـان لهـذا الشـخص دور فـي إزعـاج الأمـن، إذ عصـى وحمـل السـلاح ، فأراد رجال الأمير أن يأخذوه قسرا فـأطلق علـيهم الرصـاص وهـرب هو وأولاده .
واهتم الملك عبد العزيز بالقبض عليه فأصدر أمره قائلا :
في هذه اللحظة تحركوا بكل ما لديكم من قوة وانتشروا في حدود ما أنتم مسؤولون عنه وفتشوا لي في كل شبر عن مجري وأولاده ، وأي إنسان يتساهل منكم أو يتباطأ أو يثبت أن مجري خـرج مـن الحدود المسؤول عنهـا إلـى أي بلـد عربـي فسـوف تكـون عاقبتـه أشد العقاب .
يقول التويجري :
فنفر رجال الأمن في المملكة جميعهـا ورابطـوا علـى حـدود شـبه الجزيرة العربية شبرًا شبرًا، وسهروا علـى ذلـك لـيلاً ونهـارًا وبـذلوا من الجهد والمال الشيء الكثير ... وكان حـظ إحـدى المنـاطق مـع هذا الاهتمام عند الملك عبد العزيز قد أعطاهـا سـبق فـي ذلـك ، فقبـل أن يصـل مجّـري إلـى حـدود الأردن طوقتـه قـوة مـن قـوى التفتيش عنه وكان يحمل السلاح وقاتل فقتـل أحـد أولاده ، وكـانوا خمسة كأنهم السباع ، وأخيرًا وبعد أن قدر (مجرّى) أنه إما مقتول هـو وأولاده أو مستسـلم ، اختـار الاستسـلام بعـد أن يـئس مـن القتال . وحين أحضر إلى الملك عبدالعزيز، وكان آنـذاك مقيمًـا فـي الصحراء وهي عادته في أيام الربيع ، في وقت صلاة المغرب ، قال الملك عبد العزيز لرجاله : أبقوه هنا حتى نصلي ، ثم قام فصلى ، وبعد الصلاة شرع في السنن ، كما هي عادته لا يصـرفه عنهـا ولا يشغله حدث أو أحداث ، يسأل ربه ويدعوه ، وفي الختام رفـع يـده

إلى السماء مناجيا ربه ، ومَنْ حوله لا يسمعون ما يصدر عنه، وهم يتساءلون ماذا سيحل بهذا العجوز وأولاده ؟ وما نوع العقاب ؟ فالاهتمام الذي أبداه الملك عبد العزيز بقضية (مجرّى) لا بد أن وراءه عقابًا قاسيًا عليه وعلى أولاده ... وبعد الانتهاء من الصلاة والدعاء حمل إليه العجوز ، وهو مكبل بالحديد ، فرآه شيخًا مسنًا محدودب الظهر قد أرهق عظمه الحديد الذي يحمله ... فنظر إليه والجموع من حوله وقال : يا مجري ، ما حملك على ما فعلت ؟ فبكى العجوز وراح ينشج ، والناس حضور، فالمشهد بين الملك عبد العزيز وهذا العجوز هو الذي عبر عن نفسه في صور قرت في قلب الملك عبد العزيز تنشج وتستعطف وتستجدي الرحمة، فما كان من الملك عبد العزيز إلا أن نادى على أولياء من قتلهم مجرّى وقال : تعالوا يا أولادي ، أنتم تعلمون مدى اهتمامي بالقبض على هذا المجرم وأولاده وكان سببه أمران : الأول حق الأمن ، وهو حقي والثاني حقكم في قتلاكم ، وهاهو ذا الآن بين أيدينا هو وأولاده ، ولكن لا أعرف ماذا حصل لي في هذه اللحظة ، عندي رغبة شديدة في أن أعفو ، ولكني لا أملك حقكم ولا يمكن أن أتجاوزه ، فهل تقبلون شفاعتي ؟ وسأكون لكم عوضًا وأبًا ، وأحيطكم بكل اهتمامي؟ فقالوا : نحن أولادك ، والقتلى قتلاك أنت ، رغبتك هي رغبتنا ، اعمل ما تراه ونفوسنا راضية عن كل ما يصدر عنك !! فقال : أطلقوا سراح هذا العجوز ، فكوا قيده أما أولاده فإلى السجن حتى نرى فيهم أمرنا الأخير . بعد هذا ، نفذ الأمر فانكب العجوز على الأرض يبكي ويصلي ويدعو للملك عبدالعزيز ويطلب الغفران . بينما ظل الأولاد في السجن مدة لا أعرف مداها ، ولكن قيل لي إن بعض أمراء قبيلة عتيبة وشيوخها تشفعوا فيهم عند الملك عبد العزيز ليعفو عنهم كما عفا عن أبيهم، وتعهدوا أن يكونوا مسؤولين عنهم وعن تصرفاتهم وعن كل ما يصدر عنهم ، فأكرم الملك عبد العزيز هؤلاء الشيوخ في شفاعتهم فأطلق سراحهم!!

وكان اتجاه الملك عبد العزيز استخلاص الأشخاص ممن أولاهم ثقته وكانوا من خصومه أو أعوان خصومه فأصبحوا بحسن اصطناعه لهم من خيرة رجاله ومن هؤلاء أمراء وشيوخ شمر الذين تحولوا من أعداء ألداء إلى أنصار ومحبين ومن رجال ابن رشيد وكيله في دمشق رشيد الناصر الذي كان يمده بالسلاح والعتاد والمال كوسيط بينه وبين الترك فقال له عبد العزيز : بماذا أعاقبك ؟ قال : بما تهوى وما أنا بنادم على مافعلت . قال : لقد أخلصت في خدمة صاحبك وزال صاحبك ومايزال في قلبك حس الإخلاص فعد

إلى دمشق فأنت وكيلي بها فكان ممثله في سورية وأخلص في عمله إلى نهاية حياته .
ومن مواقف عطفه أنه وصل ذات يوم مكانا يسمى نبع عواضة في رحلته من المدينة المنورة إلى الرياض فنزل من سيارته وأخذ مقدارا من البسكوت والحلويات ووزع منها على أولاد البدو الفقراء الجالسين إلى ذلك النبع .
وقال الدكتور فون ويزل عن زيارته له رحمه الله سنة ١٣٤٥ هـ :
وفي ابن سعود ميزة أخرى وهي أنه كريم وصادق ، وقد حادثته مرتين في شئون مختلفة كان بعضها دقيقا جدا ، فلم ألحظ قط أنه يلبس الباطل ثوب الحق ، نعم كان سياسيا أحيانا في أجوبته فلا يقول كل ما يعرفه ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع فإني لما قابلت القناصل الأجانب في جدة قالوا لي :
إذا قال لك ابن سعود شيئا فثق أنه يقول لك الحقيقة التي لا تشوبها شائبة .
ولقد تربى الملك عبد العزيز على خشونة العيش منذ الصغر فقد كان منذ نعومة أظفاره يستيقظ قبل الفجر بساعتين ويمشي حافيا على الرمل المحرق وقبل أن يقوى على الكلام علموه ركوب الإبل ساعات برمتها ، ولما بلغ الخامسة قلد بندقية وتعلم ضرب النار .
ولم يزل رحمه الله يستيقظ قبل الفجر بأكثر من ساعة ، ولم يزل محافظا على بساطة ملبسه ومأكله
يقول الملك عبد العزيز عن حياته في الصحراء :
إن أجمل أيام حياتي كانت خلال سنوات النضال في الصحراء ، سنوات الجوع والظمأ والخطر ، ولم تكن طويلة فقد امتددت بين عشرة أعوام واثني عشر عاما لكن كل يوم من أيامها كان يحمل في طياته الحبور والسرور. سقى الله تلك الأيام وسقى رفاقها المخلصين .
وقد عاش الملك عبد العزيز حياة شظف وقلة ذات يد ولم يفكر في تحصيل الأموال لنفسه وأهله على حساب الناس ومن المواقف العجيبة نذكر طائفة ننير بها البصائر التي عمي كثير منها إلا عن جمع المال من أي مكان سواء من حل أم من حرام :
قال الزركلي في حديثه عن ضائقة عبد العزيز حين حصار جدة :
إن عبد العزيز كان في بعض تلك الأيام يقتسم مع يوسف ياسين _ وكان محرر جريدة أم القرى ومديرها _ قيمة ما يباع في أسواق مكة من الجريدة _ وهي أسبوعية _ فيدفع له يوسف نصف ما

تجمع لديه من الهللات لينفق منها ويحتفظ يوسف بالنصف الآخر ليأكل به هو وعمال المطبعة والجريدة .
إلى جناب الأجل الأمجد الأفخم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل سلمه الله تعالى وأبقاه آمين وبعد .
متعنا الله بك . نزلنا البيت وصلنا من شهلوب ثلاث دلات وقهوتنا ما فيها شيء لازل ولا غيره ، غير ما ذكرنا لك وقهوتنا مغبرة لنا من خرجنا الأول عشرة أصواع وقلة ولا هي بكافية . ولا هم مساوين فينا شيء وحنا علينا واجب عظيم وخليناها عند حمد إلى أن نراجع الشيوخ ما ودنا نكثر الإلحاح ونظرك فيه الكفاية .

وضحة والدة تركي وسعود

يقول التويجري :
هذه الرسالة البسيطة من زوجة الملك عبد العزيز والدة أكبر أولاده تركي والملك سعود يمكن لمن يقرؤها أن يتصور ما شاء له التصور قسوة الحياة على أسرة عبد العزيز الخاصة . ولعل كل ما في البيت من أثاث وطعام لا يساوي ٢٠ ريالا في ذلك الوقت .
لو كانت هذه الأسرة لطاغية من طغاة البشر ما كانت لتشكو هذه الشكوى المرة . لو كانت هذه الشكوى من زوجة عمرو أو زيد من الطغاة لصادر أموالا كثيرة وأجاع أسرا من أجل أن تتخم أسرته – رحم الله عبد العزيز
ومن أقواله :
والله إنني لا أحب الملك وأبهته، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى التوحيد.. ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا فإنني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير بل بصفة خادم.. أسير معهم أنا وأسرتي وجيشي وبنو قومي والله على ما أقول شهيد وهو خير الشاهدين...
وقال عبد الله الفيصل متحدثا عن جده :
حارب الملك عبد العزيز فكرة تلقيبه بخليفة المسلمين وهو أجدر بها من كثير ممن سعوا إليها . ولم يغره المال وبهارج الحياة ، ولم يستطع ما هيأه الله على يديه من خيرات الدنيا أن يغير مافي نفسه أو على الأقل أن يغير ملبسه أو مأكله من بدايته إلى أن قبض الله روحه .
الملك عبد العزيز لم يخلف قصرا ولا مزرعة ولا ثروة ، ولم يرث أحد من أبنائه شيئا .
وقال أيضا : وحينما لقي وجه ربه ، لم يجدوا عنده سوى ٣٠٠جنيه ذهبا وزعت صدقة عليه . ولم يرث أحد أبنائه وزوجاته شيئا ، حتى ملابسه بيعت في السوق وأدخلت بيت مال المسلمين .

وعاش في قصره القديم ولم يغيره حتى إنهم حاولوا أن يبنوا له قصرا من الحجر فقال لهم : لا تبنوا لي شيئا آخر أنا مرتاح في منزلي ولا أحب أن أغيره .
ومن العجيب أن الملك عبد العزيز في سفره على المدمرة الأميريكية للقاء روزفلت أصر إصرارا عجيبا على أن يكون طعامه وطعام من معه ليس مما اختزنته المدمرة وإنما طبقا لقواعد ونظام الغذاء كمسلمين ورفض جميع المحاولات من الأمريكان لإقناعه بأن طعامهم جيد مما اضطرهم إلى الموافقة على حمل سبعا من الخراف أحياء على ظهر المدمرة الأمريكية !!! بعد أن كان الملك يريد حمل مائة خروف !! لإطعام جميع من بها على مائدته التي هي من محصول بلده.
والملك عبد العزيز وقاف عند حدود الشرع لا يترك فرضا صغر أو كبر، ولا يأتي معصية من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة . يحافظ على الصلوات وعلى الصيام وعلى الحج، ومنذ فتح الحجاز وهو يحج كل عام. لا يشرب شيئا من المشروبات المحرمة، ولا يتهاون لأحد من حاشيته في أن يترك شيئا من الفرائض. أو يعمل شيئا من المحرمات، وإذا ما حضر وقت الصلاة نهض مسرعا إليها مجيبا النداء ونهض من معه ولابد، وهو يصلى الصلوات جماعة. وله في عاصمته مسجد يصلي فيه الصلوات في أوقاتها. وهو معتدل في ذلك وسط، لا يشدد تشديد الغالين المفرطين، ولا يتهاون تهاون الكسالى المفرطين . لا يقدم على كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته وأئمة الإسلام كلاما ما .
يقول ويليام إيدي وهو يقص رحلة الملك عبد العزيز للقاء روزفلت :
قال لي أمير البحر (ليهي) سوف تنزل أنت والملك في أحد المصاعد إلى المطعم الخاص بالملك وسوف أنزل الرئيس (يعني روزفلت) في المصعد الآخر ..... وقد أخبرني أمير البحر ليهي بعد ذلك أنه أثناء نزوله بالمصعد ضغط روزفلت على زر الطوارئ الأحمر الذي أوقف المصعد بين طوابق السفينة ودخن سيجارتين حيث لم يدخن الرئيس أبدا وهو مع الملك احترامًا للملك ومذهبه الوهابي ولو أن الرئيس كثير التدخين .
ولما عاد الملك عبد العزيز من رحلته الثانية إلى مصر أراد أهل الرياض إقامة حفلة كبيرة له وجمعوا مبلغا من المال للحفلة وعلم الملك بالأمر فقال :
بل يصرف المال على ما فيه مصلحة للبلد فاتفقوا على إنشاء مدرسة في البطحاء سميت المدرسة التذكارية وبدل اسمها بعد ذلك .

وكرم عبد العزيز طبيعي لا تكلف فيه سواء على ضيوفه ، أم على الفقراء ، والمعوزين داخل البلاد ، وخارجها وينفق إنفاق من لا يخشى الفقر ، فكان يعطي بلا تقيد حتى وإن كانت خزينته فارغة ، وكان ذلك يحزن ابن سليمان وزير ماليته لأنه أمام سخاء الملك يجد نفسه دائما مضطرا لتغيير ميزانيته .
قال إمام شافعي أبو شنب يصف رحلته الثانية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة :
كان ذلك الفوج من المصريين أول الغيث إذ بينا كانت كوثر مازالت في الميناء ولما يكد الحجاج المصريون يغادرونها حتى تواردت الأنباء بقرب وصول الركب الملكي السعودي إلى مكة . كان ذلك الركب الميمون في الطريق والملك عبد العزيز من ألذ ما ترتاح إليه نفسه ويطيب به خاطره وتتمتع به روحه أن ينثر المال ذات اليمين وذات اليسار على الفقراء وهو في طريقه إلى البلد المحرم . وحدث أن نفذت منه أكياس المال وهو في الطريق فسارعت السيارات إلى حيث استحضرت أكياسا أخرى مملوءة أتم بها جلالته عملية الإحسان حتى دخل مكة المكرمة بركبه الحافل .
والملك عبد العزيز يعد أفقر ملك في العالم لأنه في الإحسان والكرم والجود ممن يؤثرون الناس على أنفسهم فهو ينام ليلته وليس في قرابه مضغة فلا يكتنز ذهبا ولا فضة ولا يعرف لهذا المال قيمة إلا في وجوه البر والإحسان والإصلاح وفضلا عما يخرج عن جلالة الملك من خير وإحسان فإن الحكومة العربية السعودية توزع بأمر جلالته عشرات الأكياس من الدقيق يوميا على الفقراء والمعوزين .
قال حافظ وهبة :
كان لا يضيق صدره إلا عندما يجد خزائنه تضيق عن الطلبات والعطايا .
وقال عبد الله الفيصل متحدثا عن جده :
قال له بعض الناس : إنك تعطي كثيرا ، فلو اقتصدت ؟ فقال : إن الله عودني عادة أن يتفضل علي وعودت عباده عادة أن أوسع عليهم . فأخاف أن أقطع عادتي فيقطع الله عادته عني ، وأنا لن أبني قصرا ولن أشتري مزرعة . كل ما يرد أنفقه على المسلمين ، وهذا حق لهم.
وأقيمت حفلة عشاء في القصر الملكي فدعي إليها مجموعة من المدرسين فجاء دخولهم متأخرا فرآهم الملك رحمه الله فأجلسهم على مائدته وأخذ يقول للأمراء : إنهم يستحون اقطعوا لهم اللحم .

ويقول حافظ وهبة :
ربما كان عدد ضيوفه الدائمين لا يقل عن ٥٠٠ كل يوم وقد يبلغ ضيوفه نحو عشرة آلاف تمتلئ بهم بيوت الرياض وبطحاؤها تأتيهم الذبائح من القصر حيثما كانوا ..
وقال الزركلي :
ما وفد على عبد العزيز قاصد ولازاره إنسان ، من أبناء الصحراء إلى أصحاب الرئاسات والعروش من الرجال والنساء إلا حباه منحة أو أهدى إليه هدية تتناسب مع صفته في المجتمع ومع حظوته لديه .
وكان الملك عبد العزيز رحمه الله حتى في أسفاره يستنشط الناس ويروح عن النفوس بما يعود عليهم بالنفع ومن ذلك أنه كان يخصص جزءا من الليل للعجيري يحدث الناس فيه عن موضوع في فنون الأدب في مكارم الأخلاق أو في التقوى أو مخافة الله أو في السير والتاريخ إلى غير ذلك من فنون القول فيبدأ كلامه بقول : فصل في مكارم الأخلاق فيذكر ما ورد في كتاب الله عنها ثم ماروي عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة والتابعين أو عن العرب من جاهليين وإسلاميين ومخضرمين ومولدين ومحدثين أو ما ورد في أقوال أئمة الهدى من العلماء الأعلام فإذا بدأ في روايته رأيته كالسيل المنحدر يغرف من بحر .
وفي أول مرة سمع بها الملك عبد العزيز اسم مستشاره الطبي كاملا : مدحت شيخ الأرض ضحك وقال :
من جعلك شيخ الأرض ونحن ما زلنا نقاتل من ثلاثين سنة لشياخة قطعة صغيرة منها ؟
وولدت لكبير من خاصته بنت فسأله ما سميتها ؟ قال : نجوى .
فقال الملك :
صدق الله العظيم : ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ .
ورزق الشيخ فوزان السابق أثناء قيامه بأعمال المفوضية السعودية بمصر بابن وهو في نحو الثمانين فأبرق إليه الملك عبد العزيز بالشيفرة :
سبحان من يحيي العظام وهي رميم !
وإنجازات الملك عبد العزيز كثيرة :
منها :
إصلاح حال الشعب البدوي ، توطيد دعائم الأمن الشامل في البلاد إدخال النظم الصحية ، تشجيع التعليم ، الانتفاع بالمخترعات الحديثة ، أسس لأول مرة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما عني بوضع أول نظام للتابعية ، مظلات

للحرم ، ضرب الريالات العربية، وضع نواة للطيران ، الزراعة ، البحث والتنقيب ، إنشاء الجامعة العربية، أنابيب البترول ، الإذاعة ، مؤسسة النقد السعودي ، توسعة الحرمين.
ومن اهتمام الملك عبد العزيز رحمه الله بالدعاء أنه كان في السفر بعد قراءة القرآن الصباحية حتى الإسفار ينفرد بنفسه ويتلو حزبا فيه أدعية مأثورة أكثرها مأخوذ من القرآن الكريم أو مروي في الأحاديث الصحيحة . وكذلك يفعل كثير من رجال ركبه ، منهم من يتلو القرآن على انفراد ومنهم من يدعو الله بأدعية اعتادها في أيامه ، ويدوم ذلك قدر ساعة حيث تطلع الشمس .
وكان رحمه الله إذا قاربت الشمس المغيب خلا بنفسه أيضا على راحلته وأخذ كتيبه الذي فيه الحزب الذي يقرؤه في المساء فقرأه .
قال الزركلي :
أخبرني أحد ضباط القصر الملكي قال :
رأيت الملك عبد العزيز في الهزيع الأخير من الليل ، عند صلاة الفجر يتمسك بأستار الكعبة ، ويدعو الله قائلا :
اللهم إن كان في هذا الملك خير لي وللمسلمين فأبقه لي ولأولادي . وإن كان فيه شر لي وللمسلمين ، فانزعه مني ومن أولادي .
والملك يبدأ كلامه وخطاباته ببسم الله الرحمن الرحيم وبالثناء على الله والحمد لله ، وبالصلاة والسلام على رسوله الكريم ، ولا يصنع ما يصنعه المفتونون بتقليد الغرب من البداءة باسم الوطن أو نحوه بدل اسم الله والثناء عليه .
وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن الملك عبد العزيز كان له ورد يقرؤه يوميا في الصباح والمساء وهذا الورد تمت طباعته أكثر من مرة ، ومعظم نصوصه من القرآن الكريم وصحيح السنة .
ويقول الدكتور أمين رويحة عند حديثه عن مرض الملك عبد العزيز الأخير :
وبعد أن حقنه الدكتور مدحت بإبرة طلبنا إلى جلالته أن يستلقي في سريره للاستراحة لأن بقاءه مستويا على الكرسي لا يؤمن له الراحة الضرورية للقلب .
أجاب ابن سعود طلبنا بقوله : ما يخالف هاتو السرير فتوجه الخادمان اللذان يتوليان خدمته الخاصة أمين وتحسين فجلبا السرير سرير الملك العظيم فنصباه في الغرفة ويالعظمة ما رأيت ! إنه سرير من خشب عادي متواضع وفراشه محشو بالقش صلب قاس وفوقه غطاء صوفي ووسادة من النوع ذاته ذلك هو مضجع

ذلك البطل الكبير الذي لا يكتسي إلا بثوب بسيط من القطن وقد كان يستطيع بما وهبه الله من جاه ومال أن يتوسد ليس الفراش الوثير وحسب بل وحبات العيون وأن يحوط نفسه بالخدم والحشم والممرضات ليل نهار ولكنه عبد العزيز المتقشف الذي لا تأخذه بهارج الحياة .
ولما مات الملك عبد العزيز رحمه الله كرر جملة : لا حول ولا قوة إلا بالله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وعجل بدفنه على السنة ولم يتميز قبره عن عامة الناس بل وضع فقط حجران أحدهما عند الرأس والآخر عند القدم لتحديد موقع الضريح فقط .
رحمك الله يا عبد العزيز ، فقد كان مصاب الأمة بك فادحا ، ولكن قد مات من هو خير منك ﷺ الذي قال له الله تعالى ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ نسأل الله تعالى أن يجعل في أبنائك خلفا لك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد بن رزق بن طرهوني

تنبيه هام :
هذا الكتيب مختصر من الكتاب الكبير الذي كتبته عن دراسة شخصية الملك عبد العزيز من الجهة الشرعية وأسميته عبق الخلفاء الراشدين فجميع المعلومات التي في هذا الكتيب مذكورة موثقة في أصله وكذا قائمة المصادر والمراجع مدرجة في آخر الأصل لمن أراد التحقق مما فيه من معلومات والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

أعمال المؤلف العلمية في مجال العقيدة والقرآن وعلومه والتفسير والحديث والفقه والسيرة النبوية والتاريخ والدعوة والتربية والأدب الإسلامي

❁❁❁❁❁

ـ قام بمراجعة دقيقة لمصحف الراجحي رسما وضبطا وعمل تقريراً تفصيلياً لما اكتشفه من أخطاء هامة
ـ ساهم في مراجعة مصحف بالخط الفارسي تابع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا لإرساله للمجاهدين الأفغان
_ ساهم في مراجعة مصحف مترجم مصور من مصحف المدينة المنورة تابع للمعهد المذكور
ـ قام تطوعاً بمراجعة الآيات المكتوبة على جدران مسجد قباء في توسعة خادم الحرمين الشريفين
ـ قام بعدة أعمال تابعة للمعهد العالمي المشار إليه لخدمة التفسير بالمأثور ومنها:
١) مرويات الإمام مالك في التفسير مجلد
٢) مرويات ابن ماجه في التفسير مجلد كبير
٣) مرويات الإمام أحمد في التفسير عدة مجلدات بالمشاركة
ويأتي ذكر ماطبع ومالم يطبع منها
_ قام بإقراء القرآن وإجازة بعض طلاب العلم المبرزين
ـ له مشاركات بمقالات في كل من جريدة الرياض والمدينة المنورة والندوة ومجلة الدعوة والإذاعة وغيرها .
_ طبع له من الكتب المؤلفة والمحققة مايلي:
١) قطف الزهو في أحكام سجود السهو
٢) الصيحة الحزينة في البلد اللعينة
٣) من أم الناس فليخفف
٤) إسعاف النساء بفصل الصفرة عن الدماء
٥) أحكام السترة في مكة وغيرها وحكم المرور بين يدي المصلي
٦) ثلاثة عشرة سؤالاً وجواباً حول السترة والمرور بين يدي المصلي
٧) جمع الفوائد اختصار إصلاح المساجد من البدع والفوائد
٨) مجلس من فوائد الليث بن سعد (تحقيق)
٩) جزء الستة من التابعين للخطيب البغدادي (تحقيق)
١٠) فضل قل هو الله أحد للخلال (تحقيق)
١١) موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (القسم الصحيح)
١٢) صحيح السيرة النبوية المسماه بالسيرة الذهبية (المجلد الأول والثاني)
١٣) فهرس شامل لرجال تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر البالغ ١٢ مجلدا مخطوطا
١٤) تحديد تاريخ المولد (مقتطف من السيرة المذكورة آنفا)
١٥) النبي ﷺ كأنك تراه (مقتطف من السيرة المذكورة آنفا)
١٦) الإسراء والمعراج (مقتطف من السيرة المذكورة آنفا)
١٧) الهجرة النبوية (مقتطف من المجلد الثالث من السيرة)
١٨) الأحاديث الثابتة في فضائل سور وآيات القرآن (مختصر الموسوعة)
١٩) القواس والفأرة (قصة للأطفال)
٢٠) سفينة والأسد (قصة للأطفال)
٢١) الإسلام ونبي الإسلام (دراسة حول شخصية النبي ﷺ ورسالته)
٢٢) مرويات الإمام أحمد في التفسير
٢٣) مرويات الإمام مالك في التفسير
٢٤) عبق الخلفاء الراشدين (دراسة شرعية في سيرة الملك عبد العزيز)
وله الآن في انتظار الطبع :
١) موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (القسم الضعيف)
٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم ـ المجلد الرابع (تحقيق)
٣) أحكام الحج في سورة البقرة (فهم السلف الصالح للآيات ٦٩١-٧٠٢) مقتطف من الماجستير
٤) مناظرة مسلم لأساقفة الروم (قصة واقعية)
٥) مرويات ابن ماجه في التفسير

٦) عدة رسائل مقتطفة من كتاب الإسلام ونبي الإسلام
٧) الجمل الحزين (قصة واقعية للأطفال)
٨) عبد الرحمن والجني (قصة واقعية للأطفال)
٩) صفحات من تاريخ المغرب العربي - تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا - (من الفتح وحتى الآن) مقتطف من الدكتوراه
١٠) المفسرون في المغرب العربي (مقتطف من الدكتوراه)
١١) مناهج التفسير في المغرب العربي (مقتطف من الدكتوراه)
١٢) هدية كل عروس (أو : هديتي لابنتي عند زفافها)
١٣) المنحة في السبحة للسيوطي (تحقيق)
١٤) المدخل الصغير لعلوم القرآن والحديث والعقيدة والتفسير
وهناك كتب أخرى تحت الإعداد ومنها:
١) المجلد الثالث من صحيح السيرة النبوية
٢) أحكام تسوية الصفوف في الصلاة
٣) أحكام تجويد القرآن
٤) شبهات حول العقيدة والرد عليها
٥) الجامع لأسباب النزول
٦) السيرة النبوية لابن هشام (تحقيق)
نسأل الله أن يتقبل أعماله وينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .